



تاريخ  
قلعة السقيف  
(قطان)

تأليف  
سليمان طاهر

المطبعة العصرية - صيدا



B. U. C. LIBRARY

1 2 MAR 1990

RECEIVED

سليمان ظاهر

تاريخ  
قلعة الشقيف  
(طفهين)

الناشر: المكتبة القصرية - صيدا وبيروت

المطبعة القصرية  
للطباعة والنشر  
صيدا - لبنان - بيروت



RECEIVED  
JAN 1 1961  
H. C. LIBRARY

## مقدمة الكتاب

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله تعالى على ترادف نعمائه وتوالي آلائه والصلاة  
على رسوله وأنبيائه وخيرة اوليائه .

فقد عنيت بكتابة فصول في المجلد السادس من مجلة العرفان الراقية عن  
قلعة الشقيف وتاريخها وتاريخ بنائها ووصفها وما مر عليها من حوادث  
الزمان وتعاقب الايدي الى عهد احمد باشا الجزار الذي غلب عليها  
حكامها العاملين ، ودمر ما استطاع تدميره من بنائها ولم تصل يده الا  
الى اعاليها واما الوثيق منه من طبقاتها السفلية فظل ثابتاً ثبات الروامي  
على شقيفها الخالد .

وقد لاقى ما كتبه في ذلك الحين استحساناً من القراء وطلب الى  
بعض الادباء نقلها الى اللغة الانكليزية والتمس مني غير واحد ان انظم  
كتاباً على حدة من تلك الفصول وهي ضائعة في محيط اربعين مجلداً من  
العرفان ولا نصل ايدي القارئ الى ذلك المجلد الذي دونت فيه آثارها  
واخبارها وكل ما بلغه بحثي من الوقوف عليه وله فات علمي عنها الشيء  
الكثير ولكنني اجتهدت وراجعت ما امكنني من المظان والمراجع قدر  
الاستطاعة والطاقة في هذا السبيل والمرء لا يكلف فوق مقدوره وفوق  
كل ذي علم عليم .

سليمان ظاهر



## جبل عامل وقلعة الشقيف

( نظرة في تحديده )

Jabal amel et ١ calat el chakif

ان كلام العلماء الذين كتبوا عن موقع جبل عامل من القطر السوري وحدوده مضطرب اياما اضطراب ولم نجد من افردته بالبحث بل كل ما كتب فيه لم يكن الا بطريق الاستطراد اللهم الا بعض المتأخرين ممن بنى عليهم ولكنهم لم يوفوا الموضوع حقه من التمهيص والتحقيق وكيف كان فإن المعتمد من مجموع ما كتب في تحديده هو ما يلي .

من الجانب القبلي نهر المسمى نهر القرن الجاري شمالي طرشيها الى البحر جنوب قرية الزيب ( اكزيب ) بالقرب من عكا وشمالا النهر المسمى بالاولي الذي يصب في البحر المتوسط شمالي مدينة صيدا ومن الغرب البحر ومن الشرق طرف الاردن والحيط والحولة الى نهر الفجر ووادي عوبا ( ١ ) .

ويقرب من هذا التحديد ما جاء في تاريخ الامير حيدر الشهابي « وكان البطريق الذي في قلعة الشقيف يحكم على جميع بلاد جبل عامل سهلها والجبل من ساحل صيدا الى عكا .

واقعة كانت قصبة جزين وملحقاتها وجبل الرمان حتى مشفرة من أعمال البقاع تابعة جبل عامل .

تسامح بعض الكتاب حتى جعل لبنان منه وصفه وآخر ضيقه حتى جعله قسما من بلاد بشارة القبلية وآخر قسما من الشقيف .

« ١ » القعدة المنضد لشيب باشا الاسعد

اما التعرض لنقل اقوال العلماء في تحديده فانه لا يتسع له كتاب موضع لغيره — هذا الغرض فتجبل البحث عنه الى موضعه من ( تاريخ جبل عامل ) .

### قلعه وحصونه

ان في جبل عامل قلعا وحصونا كثيرة بعضها دائر وبعضها لا يزال ماثلا بفخامته التاريخية لا بأهته العمرانية احتفظت به السلطات المختلفة التي كانت تعتمد به في مهاب اعصارها المتعارضة ؛ فانتشلت من انياب عوادي الحدثان ، كما استبقى على سلطانها وكف عنها اكف العدوان . ان تلك القلاع والحصون لا ترجع في بنائها الى زمن عادي ومع

تداول هذه البلاد بين الفينيقيين والاسرائيليين والرومانيين واليونانيين والبابليين والاشوريين فانه لا يرى فيها من المباني ما ينطق عن عظمة تلك الامم التي اقلت سفن مطامعها فيها مراسي قوتها وان كانت غنية بالآثار الفينيقية والاسرائيلية الاخرى التي لا تتعدى النواويس والهياكل والعمادات الزجاجية والحزفية والحجرية التي افرغت فيها فرائع الصناعات اقصى مجهوداتها ومعظمها يدل على مبلغ الصناعة الفينيقية من الدقة ، واتقان التصنع .

وكيف كان فانه لا يوجد في جبل عامل قلاع يرجع بناؤها الى عهد تلك الامم — واما القلاع والحصون التي لا يزال بعضها قائما فيه لا يمتد زمن بنائه الى ما قبل ميلاد سيدنا المسيح ( عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ) ومن قلاعها ما هو من منشآت الرومان بعد الميلاد على الراجح كقلعة الشقيف ومنها ما هو من الفية الصليبيين كقلعة هونين وتبينين



ودويبه وبرج قلوية ومنها ما هو من بناء المسلمين والامراء الذين تداولوا الحكم على البلاد العاملة في القرون الاخيرة كقلعة مارون .  
أما تحديد زمن تلك المنشآت على وجه التحقيق فهو مما لا يصل اليه بحثنا لطموس اثره وانقطاع خبره .

## قلعة الشقيف

### موقعها .

هي على ثلاثة اميال تقريبا من النبطية ( قاعدة حكومة الشقيف ) في الشرق الجنوبي منها وعلى بعد عشرين دقيقة من قرية ارنون المسماة باسمها في الشرق الجنوبي منها . قائمة على امتق مرتفع من مرتفعات الشقيف يمثل امامها ابدع مناظر البلاد التي تشرف عليها . وتترصد طرقات الفزاة الطامعين في الاستيلاء على البلاد الحامية لها بما فيه من المنعة والحصانة . وتطل على عورات العدو وتنكشف لها قلاع هونين وتبنين وابي الحسن ودويبه وبرج قلوية وشقيف تيرون وبانياس من الجهات الاربع ومرتفعات لبنان وجبل عامل وجبل حرمون وسفوحه واعالي الجولان وهضاب صفد ووادي الاردن وسواحل فينيقية الشمالية حتى بيروت والجنوبية حتى عكا وبالجملة فانها تنكشف الى كل ما ينكشف لها ، ويجد فيها زائرها من جمال المناظر الطبيعية في بلاد حوت ابدع صحيفة من صحائفها ما يفيض قريحته سحرا لمن كان شاعرا ، ويملا فؤاده روعة واعتبارا باستعادته ذكرى امم شغلت اهم اسفار التوراة وافصح صفحات التاريخ البشري بآثارها الدثر ، ومناقبها القر ، إن كان حكما . ويأخذ بمجامع لبه ما يراه من موقعها الحصين ومنعتها الحربية

إن كان قائدا . فهي للشاعر وحي قريحته ، وللحكيم ذبالة بصيرته ، وللقائد مستزاد قوته ، وللمستقرى . حوادث التاريخ سفر يقرأ فيه بعين الذكر والفكر تطاحن المسلمين والصليبيين في القرون الوسطى وتداولهم الاستحواذ عليها ، وتصادم قوى المتغلبين في القرون التي تليها وهم الذين كانوا يتنازعون السلطة على القطر السوري ايام الحكم الاقطاعي المضطرب حتى القرن الثامن عشر .

وهي عن هاجرة لندن غرينوايش تقريبا في طول شرقي ٣٥،٢٨،٤٥ وعرض شمالي ٣٣،٢٢ وارتفاعها عن سطح البحر زهاء ٧٠٠ متر . وفي دائرة المعارف ( ١ ) وهي واقعة على تل مرتفع يصعد اليها من قرية ارنون ) ولها طريق آخر من الجهة الجنوبية اسهل من الطريق المذكور وبين القرية وحضيض التل الذي عليه القلعة بقعة عرضها نحو عشرة دقائق وفي الطريق من القرية الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء واقعة على سفح التل وبالقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة يحيط بها سور وبوهران مستديران .

والى الجنوب الغربي منها فسيحة من الارض مستوية يظن انها كانت ميدانا للمعسكر وهي ذات مناظر جميلة الا انها منفردة .

والجانب الشرقي من ذلك التل يشرف على نهر الليطاني الجاري في واد ضيق عند حضيضه وهو قائم على خط يكاد يكون مستقيما . وارتفاعه عن الليطاني ١٥٠٠ قدم . واما ارتفاع التل عن قرية ارنون من الجهة الاخرى فيكاد لا يبلغ ٥٠٠ قدم واما ارتفاع قمة التل عن سطح البحر

( ١ ) م ص ٢٥٤ ( ٢ ) قرية صغيرة في ناحية الشقيف التابعة قضاء صيدا تبعد نحو نصف ساعة عن قرية النبطية مركز الناحية وعدد سكانها نحو سبعين نفسا من المتأولة وقد اشتهرت هذه القرية بالقلعة المسماة باسمها وهي على مسافة ٢٠ دقيقة منها ( عن الدائرة )



فهو ٢٢٠٥ اقدام (١) وهو اعلى من جميع الاراضي والتلال المجاورة له  
ما عدا جبل الريحان وجبال هونين وليس فيه شيء من الاشجار وترى  
القلعة عليه من كل جهات تلك البلاد من مسافة بعيدة .

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي شقيف ارنون بفتح اوله وكسر  
ثانيه ثم باء مثناه من تحت وفاء ، وبعد الراء الساكنة نون  
اخرى والشقيف كالكهف اضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي  
واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس  
من أرض دمشق بينها وبين الساحل .

ونحو ذلك في خلاصة الاثر للمحبي حيث قال والشقيف بفتح الشين  
المعجمة وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحت ثم فاء وتعرف شقيف  
ارنون بفتح الهمزة وسكون الراء المهمله وضم النون وسكون الواو  
ثم نون في الآخر .

« قال في المشترك وهو اسم رجل اضيف اليه ويعرف ايضا بالشقيف  
الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة في الصخر  
وبعضه له سور وهو في غابة الحصانة . وعلى القرب منه شقيف آخر  
يعرف شقيف تيرون بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء وضم الراء  
المهمله وسكون الواو ونون في الآخر . وهي قلعة من جهة الاردن على  
مسيرة يوم من صفد في سمت الشمال (٢) » قال في مسالك الابصار

(١) وفي مصور الماني ان ارتفاعها ٦٧٠ متراً وكذلك جاء قياس ارتفاعها في كتاب  
السائح الفرنسي كيران (٢) ان هذا التعريف بقلعة تيرون اعني بأن يكون  
تعريفها بقلعة شقيف ارنون واكثر ما كتب عن موقعها مخالف للواقع ومنه ما في تعليقات  
تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ( شقيف تيرون اي شقيف صور وكان حصناً وثيقاً بالقرب  
من صور ) وحقيقة موقعة ما جاء في تاريخ الامير حيدر الشهابي (وهو شرقي صيدا اي  
بينها وبين دمشق) وفي ملاحظات الامير شكيب ارسلان على تعليقات تاريخ بيروت وهو  
( ان شقيف تيرون هو المعروف اليوم بقلعة نبحا في آخر قضاء الشوف على حدود جزين )

وليس من بلاد صفد وأهل هذا العمل راغضة والله اعلم .

وهذا عين ما ورد في صبح الاعشي للقلقشندي وقد عدها كما نقل  
ذلك في مسالك الابصار ) في العمل الهاشر من اعمال صفد احدي  
قواعد المملكة الشامية .

وقال عند ذكره لجبال الشام ومنها جبل عاملة وهو جبل يمتد في  
شرقي ساحل الروم وجنوبيه ، حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه  
شقيف ارنون ، نزله بنو عاملة بن سبا من عرب اليمن عند تفرقهم بسبل  
العرم فعرف بهم .

وبعد فان موقع قلعة الشقيف اعرف من أن يعرف ولم يزل ذكره  
كل من كتب حوادث القرون الوسطى وما يليها حتى يومنا هذا فتدع  
نقل كل ما كتبه العلماء عنه الى ما هو أعود في الموضوع وأفيد .

#### اسماؤها

إذا كانت كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فلا جرم اذا تعددت اسماء  
هذه القلعة الجميلة التاريخية فهي تعرف عند مؤرخي العرب بحصن ارنون  
وشقيف ارنون . والشقيف الكبير . وقلعة الشقيف . والشقيف مجردة  
عن المضاف اليه واذا اطلق الشقيف في كلمات المؤرخين يتبادر الذهن  
اليها عند الاطلاق ويسمىها الافرنج بلفورت او بوفورت ومعناها الحصن  
الجميل ويطلق الشقيف كما في القاموس على اربعة مواضع ، ولم يسمها  
والظاهر أن الاربعة هي شقيف ارنون والشقيف المعروف بحصن جلدك  
من اعمال طبريا فتحه صلاح الدين سنة ٥٧٨ وشقيف تيرون والشقيف  
من البلاد المجاورة لعمكا فتح سنة ٥٨٣



- بناتها وتاريخ بنائها -

لامشاحة ان ايدي الفاتحين والغزاة قد تلاعبت في هذه القلعة بين هدم وتعمير ومشت فيها تبعاً للخطط الحربية فما كان يطرأ عليها من متجددات بناء الغالب الظاهر كان يكون منطبقاً بلاريب على ذوقه العمراني فأعيد المنهدم منها مرة من الصليبيين واخرى من المسلمين وتارة من الحكام الاقطاعيين من امراء سورية ولبنان وجبل عامل

وأما مؤسسها الاول فهو مجهول لنا (١) واما ما بناه الصليبيون فيختلف في شكله عما بناه غيرهم ولهذا لا يصعب تمييزه عنه . ولا ريب في أن بنائها كان قبل ايام الصليبيين بمدة مديدة الا اننا لم نقف على ذكر لها في التاريخ قبل القرن الثاني عشر للميلاد . ولا يبعد انه كان بعد تلك الرومانيين او البيزنطيين سورية وربما كان قبل تلك الايام ايضاً . وقد ذكرها مؤرخو الحروب الصليبية الفرنسيون مراراً تحت اسم بلفورت او بوفورت الا انهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ بنائها ولا يعلم بالتحقيق الذين بنوها أنصاري هم ام مسلمون والمرجح انهم نصاري لانهم بنوا غيرها من القلاع المجاورة لها كقلعة تبنين وصفد وغيرها (٢)

ورجح المقتطف ان بناتها الاولين من الرومان بعد الميلاد وزعم بعضهم (٣) انها من بناء الصليبيين . وان فيها بناء فينيقيا قديماً . ولكنه قال ان تسميتها بقلعة شقيف ارنون مأخوذة من اسم قرية بجانبها . وأن معنى ارنون الجرذون . وقد سبق ما يؤيد سبب التسمية وفيه دفع ما زعمه البعض (٤) من ان ارنون تصحيف اسم ارنلد وهو

(١) كيران الفرنسي

(٢) الدائرة (٣) شاكر الخوري في كتابه مجمع المسرات (٤) الاب لويس شيخو في تعليقاته على تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

صاحب صيدا وكانت القلعة تابعة لمنطقة حكمه وهو المسمى عند مؤرخي العرب بارناط وعند بعضهم باسم ارناط (١) وهذا اقرب لاسمه الفرنجي وارناط اسم اميرين من الفرنج كانا في سوريا في ايام الصليبية وكان احدهما صاحب انطاكية والكرك ويسميه الافرنج رينوا وارنلد وشاتيليون والآخر صاحب صيدا والشقيف . ويعرف عند الافرنج برينلدو صيدون كان في قلعة الشقيف عندما حاصرها صلاح الدين الايوبي (٢) وامي ضرورة داعية لارتكاب هذا الاستفزاز ودعوى التصحيف البعيد ومخالفة المشهور من شيوع هذا الاسم بين المؤرخين مضافاً الى موافقته لاسم نهر ارميل يخرج من جبل جلعاد قرب قطرانة على طريق حجاج الشام . كان قديماً يفصل بين ارض موآب وارض الاموريين . مرقعه الى شمالي موآب ثم جعل فاصلاً بين موآب واسرائيل (زاويين) ويستفاد من سفر القضاة (١٨: ١١) انه كان ايضاً تحم موآب الشرقي . وذكر بوسيفوس انه يخرج من جبال بلاد العرب ويجري في البرية الى ان يصب في بحيرة لوط . وكان في ايام ابرونيموس لم يزل معروفاً باسم ارنون الا انه في ترجمة اسفار موسى الحمة العربية السامرية لابي سعيد ذكر باسم الموجب ولا شك في ان ما يعرف في هذه الايام بوادي الموجب هو هو نفس ارنون (٣) وفي قاموس الكتاب المقدس ارنون (مصوب) اعظم نهر الى شرقي بحر لوط وكان في الاصل تخماً فاصلاً بين الموآبيين والعمونيين ثم بين الموآبيين والاموريين وسط وأوبين ويدعى الان (الموجب) طولُه نحو ٥٠ ميلاً يصب في البحر الميت

وفي تاريخ المطران يوسف الدبس (٤) وارنون واد ونهر يصب في

(١) تاريخ ابي الفدا (٢) الدائرة

(٣) الدائرة «٤» ٢٢ ص ١٦٦



### القلعة بين التدمير والتعمير

إن قلعة الشقيف بما اختصت به من موقعها الطبيعي الحصين المشرف على أهم مرافئ البحر الرومي . الحامية لقطعة صالحة من أعمال الساحل الشامي . تتروى طريق كل طامح اليها من البر والبحر . لمن المستعبد جدا في عرف رجال الاجناد وحماة الثغور أن تطوى صحيفة من عمراتها طبي الصحف المنسية ، ولا تنشر لها صحيفة من العمران حافلة بمواد الدفاع وادوات الامتناع ، ولا يكون من أول خطط الطامعين في امتلاك ما تحميه نحو سطور عظمتها ودك حصونها حتى لا تكون حاميتها ذرواً لما هو تحت حمايتها

إن من يملك ذلك الساحل الممتد من عكا الى بيروت جنوباً وشمالاً وما اليها ويحاذيها من الاعمال مضطر بحكم الدفاع عن بيضتها الى امتلاك تلك القلعة المنبئة وتحصينها وشحنها بالسلاح والرجال ، والات القتال ، ردّاً لعادية غزاة تلك الاعمال ،

إن هذه القلعة وهي بهذه المثابة وهي من امنع الحصون وحامية دمار ما ينسب اليها من البلاد وما تتبعه من القواعد . لم تكن لتستسلم للطامعين استسلام الصغار الذليل وتفتح لهم ابوابها عفواً صفاً ، لا جرم أنه مقضي عليها قضاءً آمبر ما بهذه الاعتبار واشباهها أن تكون كالريشة في مهاب الاعاصير عرضة ( للتدمير والتعمير )

بحر الميت (بحيرة لوط) ويسمى الآن النهر الموجب او المعجب على رواية بعضهم وكان قديماً فاصلاً بين املاك الموابيين في جنوبه وبين املاك الاموريين في شماله كما يفصل الان ولاية البلقاء في شماله عن بلاد الكرك في جنوبه (فيكوروفي معجم الكتاب) وجاء في تاريخ سورية «١» وادي ارنون بالناء المثناة في الحرف الثالث . وارتوت بالناء المثناة الفوقية ابدل النون في الحرف الخامس ( في تاريخ سورية للمؤرخ المحقق جرجي بني الطرابلسي ) «٢»

والكلمة على ما يظهر عبرانية او سريانية واكثر اسماء القرى العاملة عبراني ولا غرو فقد كان القسم الجبلي من جبل عامل في جملة اسمهم اصباط اسرائيل . وموقع قلعة شقيف ارنون وما يجاوره كان من سبط اشير على ما هو الراجح

ولعل الاسرائيليين الذين استولوا على هذا الموقع اطلقوا على الوادي الواقع شرقيه والذي يجري فيه نهر الليطاني اسم ارنون لما رأوا فيه من المشابهة بوادي ارنون من عبر الاردن

وجاء في كتاب امل الآمل (٢) ما يؤيد سبق اسم ارنون لاسم (ارنلد) الفرنجي في رواية يسندها الى الامام . ولانا الصادق جعفر بن محمد (٣) (عليهما السلام) ومحصاهما انه يصف قوماً من شيعة اهل البيت (عليهم السلام) ولما سئل عن مكان وجودهم قال بلدة بالشام . قيل يا ابن رسول الله إن أعمال الشام متسعة . قال بلدة بأعمال الشقيف . ارنون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحر واطئة الجبال

«١» ٢٢٠ وحه ١٧٠ «٢» وحه ٨٥

«٣» الشيخ محمد الحر العاملي أحد اعيان علماء القرن الحادي عشر المتوفي سنة ١١٠٤ بمشهد الرضا «خراسان»



تداولت على الاعمال التي تشرف عليها دول شتى ، وتطاحت عليها امم وشعوب ، ومر عليها من العبر والمثلاث ما يستوعب كتابا ضخما . فلا غرو إن شغلت هذه القلعة الثابتة ثبات الجبال الشم في مدرجة تلك الحطوب والكوارث افسح صحيفة من صحائف تلك الأيام

إن عبي علينا نبأ ما وعته من اخبار العهدين الفينيقي والاسرائيلي وانباء غزاة الاشوريين والفارسيين والمصريين وهم يدوخون بجيوشهم الكثيفة هذه البلاد في القرون الاولى واخفى علينا التاريخ ما كان لها من شأن في تلك الأيام فلم يعم علينا الاستنتاج من اخبار ما يلي تلك القرون وهي ملأى من الاحداث ما كان لها فيها من المسكنة التاريخية وهي تنتقل من ثم الرومان الى الصليبيين في العهد الاسلامي وهم يتداولونها فيما بينهم وهم دول شتى يسطو بعضهم ببعض

انتقلت من الخلفاء الامويين ثم الى العباسيين فالطوليين فخلفاء مصر العلويين فالسلاجقة فالأتابكة من الترك فالصليبيين . ومنهم الى الاكراد ثم الى مواليهم وموالي الترك ثم الى الصليبيين ثم الى الاتراك فأمرأ هذه البلاد الوطنيين دواليك

إن مؤرخي العرب لم يتعرضوا لذكر هذه القلعة قبل الحروب الصليبية وفيها قبل عام ٥٨٥ هـ و١١٨٩ م ولكن ولیم اسقف صور تعرض لذكرها قبل هذا التاريخ بعشرين ( ١ ) وبعض مؤرخي الفرنج ( ٢ ) رجع في ذكرها الى ابعد من هذا الزمن بكثير حيث قال

« ١ » الدائرة قال بفد ان انهزم المسيحيون في تلك السنة من وجه صلاح الدين بالقرب من بانياس التجأ كثير من الاشراف والمسكر الى قلعة بلفورت المجاورة  
( ٢ ) كيران

انها وقعت في قبضة ( فولك ) ملك القدس عام ١١٣٩ م و٥٣٤ هـ « ١ »  
وانت خبير أن ذلك لا ينفي أن تكون قائمة قبل ذلك العهد . ولا يبعد أن تكون قد ذكرت في حملة الحصون الساحلية التي اجمل المؤرخون ذكرها ووقعت في قبضة الصليبيين فكانت حدود فتوحاتهم شمالا الاسكندرونة وجنوباً ديار مصر ولم يبق في يد الاسلام سوى حمص وحماة والشام وحلب مع بعض القرى الحثيرة « ٢ » وذلك في عام ١٠٩٩ م  
٥٤٩٣

نكاد نقطع بأنها كانت قائمة في عهد الغزوة الاولى الصليبية . وأنهم امتلكوها من الساحل قبل اجتماع كلمة المسلمين على دفع إتي غزوانهم لا نعني بالقطع في قيامها في ذلك العهد انها كانت عامرة عمراناً تستغني به عن الترميم وزيادة التحصين فلا جرم أن ايدي الصليبيين امتدت اليها بعد أن ملكوها باعادة متهدمها وتجديد دأثرها وقام لهم فيها من البناء الجديد ما يتميز عن بنائها الروماني القديم وعن بناء العرب فان الجهة الغربية كلها مع الزاوية الشمالية والجنوبية الغربية قد بنيت قبل الصليبيين بمدة مستطيلة ومعظم القلعة الان هو من القسم المذكور . وليس فيه من بناء القرون المتوسطة الا آثار قليلة . والظاهر ان الصليبيين بنوا اكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مزلف من قناطر متقاطعة وبها الصغير يدخل منه الى الدار الداخلية . وهناك آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات اقامها الصليبيون . وبالقرب

« ١ » هو صهر بودين الثاني خلفه علي القدس بعد وفاته واستمر ملكاً عليه اثني عشرة سنة ومات بسبب سقوطه عن فرسه  
« ٢ » قطف الزمور



من الزاوية الشرقية آثار ابنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها إليها « ١ »

وهي كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من الملوك والمنغلين واهم ابنتها من اواخر العهد الروماني « ٢ » ومعظمها من بناء العرب . وفيها معبد « ٣ » او مصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية « ٤ »

إن هذه القلعة المنيرة الشما المحصنة تحصينا طبيعيا وصناعيا مع ما صرفه الصليبيون يوم استحوذهم عليها من الجهودات في منعتها ، وتوسيع رقعها ، وجعلها في مظهر تستطيع به مقاومة كل قوة اسلامية تحاول استردادها . كان ارناط ( رينولد ) يفرغ همه في تحصينها اثناء الهدنة التي عقدها مع ( صلاح الدين ) يوم جاءها محاصراً بجيشه الكثيف المجهز بآلات الحصار وادوات التدمير ولم يتذرع بعقد تلك الهدنة ويتوصل اليها بدهائه ويماطل ويطاول إلا للاستزادة من التحصين ، واعداد المعدات لمقاومة ذلك الفاتح العظيم الذي خشي ان يتقدم الى صور لمنزلة من احتشد فيها من جيوش الصليبيين ويترك الشقيف وراؤه فتقطع عنه الميرة . قال العماد الاصفهاني ( ٥ ) بعد ان اتى على ذكر اجتماع ارناط بصلاح الدين وظفره منه بامهاله ثلاثة اشهر لتسليم القلعة « فشرع ارناط في ازالة ( ٦ ) حصنه . وازاله وهنه ، وترميم مستهدمه ، وتتميم مستحكمه وتوفير غلاله ، وتوفيره رجاله ، وتدبير احواله ، وتكثير امواله ، وقال

« ١ » الدائرة « ٢ » بيدكر

« ٣ » كان هذا المعبد كنيسة ومعبداً اخرى يتبع دين الفاتح المنقلب « ٤ » مجلد السنة

السادسة من مجلة المقتبس

( ٥ ) في الفتح القسي

( ٦ ) عدة

بعد ذكر معاودته صلاح الدين في طلب تمديد اجل الهدنة واستراحة صلاح الدين من امره ومحاولة ارناط نفى الريبة عنه .

« ثم سأل ( ارناط ) في ندب من يوثق بامانته ، ويؤمن الى وثاقته ليدخل الموضع ويلججه ، ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه ، فرجع المندوبون بخبر ما ابصروه ، وذكروا ان الحصن قد غيروه ، وانه قد استجد في سورة باب ، واستمدت له من احكام احكامه اسباب » .

ولقد اعجزت هذه القلعة بما اجتمع فيها من خصائص التحصين الطبيعي والعمري ، وما ضمه اليها ( ارناط ) من المنعة والعدة ( صلاح الدين ) واستمرت على شدة الحصار والمقاومة بمنعة عليه عاما . ولم تنجح الى التسليم إلا بعد أن فقدت حاميتها الازواد والاعتاد .

لم نجد في المصادر التاريخية العربية والفريجية التي نرجع اليها في كتابة تاريخها ذكراً للتدمير والتدمير في هذه القلعة من عهد صلاح الدين يوم تسلمها صلحاً . وعهد من وليها بعده وعهد الفرنسويين وقد اعيدت اليهم مع قلعة صفد عام ١٢٤٠ م ٦٢٧ هـ باتفاق عقده معهم اسماعيل ملك دمشق بتسليمها لهم على أن يكونوا ظهيراً له على ابن أخيه الصالح ايوب عام ١٢٦٠ م ٦٥٩ هـ حيث استقرت فيه رهبنة الهبيكلين صيدا والقلعة من يوليانس حاكم صيدا فقد ذكرها بعضهم ( ١ ) خبرا في التدمير حيث قال « وهم بنوا القصر الجديد فيها على ما يظن وهو الذي ترى انقاضه على بعد بضعة مئات من الامتار في الجهة الجنوبية .

لا ريب أنه كان لاجبار المناجيق التي كانت تصبها عليها جيوش صلاح الدين المحاصرة وتساقط عليها تساقط الواابل من مرتفعات الجهة

( ١ ) كيران



الشرقية المسماة لها افاعيل في ما يشرف على الزمالة من اعالي حصونها ،  
ولما كانت حامية ترمم منه ما يتهدم وتعمر ما يدمر .

بقيت بيد الرهبة الهيكليين الى عام ١٢٦٨ م ٦٦٧ هـ وهو العام الذي  
استولى فيه عليها ( بيبرس ) بعد حصار شديد . ثم رمت واقم فيها  
عساكر من المسلمين للمحافظة (١) .

وقال كيران : استولى بيبرس على محل بلفور (٢) وموقعه بين الحصن  
والقلعة الجديدة . وبعد ذلك حصونها ملك القلعة واقام فيها عساكره .  
لم يرد لها غير ذكر بجهل بفتوحات بيبرس في كتب مؤرخي المسلمين  
فلم يضموا هذه الحلقة الى سلسلة حوادثها وغاية ما جاء في كتاباتهم فتحه  
الشقيف مع ما فتحه من حصون بلاد الشام وهو كما ترى مشترك بين  
شقيفي ارنون وتيرون وترى ان ما تعزوه دائرة المعارف الى الاولى  
يعزوه ابن سباط (٣) الى الثانية . نعم جاء في فوات الوفيات لابن شاكر (٤)  
وكانت الشقيف قلعتين مجاورتين فجمع ( بيبرس ) بينهما وبنى بها جامعاً  
وحاماً ودار نيابة .

وبرج الظاهرية الذي كان مقابلاً للقلعة ويعرف موقعه واسمه اليوم  
نسبة الى لقبه ( الظاهر ) اما لانه هو الذي قد بناه او لانه قد ربه .  
تعاقبت عليها ايدي ملوك مصر والشام . ولم تفقد شيئاً من حصانتها  
من عهد استيلاء بيبرس عليها الى عام ١٤٠٠ م ٨٠٣ هـ واستمرت الى  
ذلك القرن متمسكة بمنفعة على المتغلبين ملجأً للهاربين .  
ان تيمور لذك لما قدم بلاد الشام غازياً فاتحاً شرعت الناس في الهزيمة

(١) دائرة المعارف

(٢) يقول كيران ويظهر خارج القلعة بقايا بيوت قديمة وهي انقاض قرية بلفور  
التي بنيت بقربها (٣) الامير حيدر (٤) ١٢ ص ٩٠

الى القلاع والحصون المنبئة في الضياع . ومنهم من توجه الى قلعة  
ارنون (١) ومنهم من قصد قلعة شقيف تيرون (٢) .

طوى المؤرخون صحيفة تعميرها وتدميرها من هذا القرن الى اوائل  
القرن السابع عشر الميلادي والحادي عشر الهجري وهو القرن الذي هبت  
فيه ريح الامير فخر الدين المعني الثاني وقد شمل حكمه الاقطاعي حيزاً  
عظيماً من بلاد الشام وامتد نفوذه الى البلاد الاخرى التي لم تدخل في  
اقطاعه ونبه امره باحلافه وفيهم مثل علي باشا الجنبلاطي المعروف  
وبعض عظماء الدولة العثمانية كمراد باشا . وتدرج الى ان جمع جمعاً كبيراً  
من السكان واستولى على بلاد كثيرة منها صيدا وصفد وبيروت وما في  
تلك الدائرة من اقطاع كالشقيف وكسروان والمان والغرب والجرد .  
وخرج عن طاعة السلطنة . وبالجملة فانه مرى حكمه في بلاد صفد الى  
انطاكية (٣) واخذ كثيراً من القلاع من ضواحي دمشق وتصرف في  
ثلاثين حصناً وبالجملة فقد بلغ مبلغاً لم يبق وراءه الا دعوى السلطنة (٤)  
كانت قلعة الشقيف في جملة القلاع التي استولى عليها . وحصنها قبل  
ان بوغر صدر الدولة عليه وامتنع بها كما امتنع في غيرها عند مناوراة  
خصومه الوطنيين كالسيفيين واضرابهم وغير الوطنيين من رجال الدولة  
الذين اخرج صدورهم وانبروا لحشد شوكتهم وحسرتبار مطامعهم كنصوح  
باشا والحافظ أحمد باشا والكوجك واضرابهم .

ولما حشدت الدولة جيوشها الكثيفة بقيادة الحافظ ونفي الخبر اليه .  
علم تغير الدولة عليه في اسلامبول وتأكد تخلف جميع محالفيه عنه في  
جميع انحاء الشام . فأوجس خيفة من سوء المصيبة . وشرع تفادياً من

(١) الامير حيدر

(٢) في الاصل ارغون

(٣) الهجري ٣ ص ٢٦٧ (٤) الهجري ١٢ ص ٢٨٦



وقوعه في يد عدوه الحافظ يرمم ويحصن معاقله . ولا سيما قلاع بانياس ( الصبيبة ) وشقيف تيرون ، وشقيف أرنون . وجبها بجميع آلات الدفاع والحصار (١) .

نزل بالمعني من الامر ما ضاق به ذرعا وحدا به الى الارتحال من بلاده الى اوربا بعد ما شعن قلاعه بالسلاح والرجال وجعلها امنع من عقاب الجو وجمع فيها اخص بطانته وأسرته وحرمة واستوثق من حامياتها السكبانين بأن لا يفتحوا ابوابها لأي متقلب بعده . زحف عليها الحافظ بجيشه اللام . فرآها تمتعة على الحصار . فحاصر بوج الظاهرية الذي يقابلها ليستطيع الوصول الى محاصرتها . فملكه بعد ان قتل من جيشه خلق كثير واستمر الحصار ستين يوما كان فيها إطلاق المدافع متتابعاً بلا انقطاع (٢) ولكنه لم ينل منها مأرباً . ورفع الحصار عنها بعد اتفاق أبومته معه والددة الاميرين المعنيين فخر الدين ويونس

ان امتناع هذه القلعة مع اخواتها من قلاع المعنيين على القوات العثمانية المحاصرة ، واعتصامهم بها في مناوأة الولاة والتخاذل لها ردها عند مقارعة خصومهم الكثيرين ، وفشل المحاصرين لها من عطاء الدولة (كالحافظ) (٣) صرف ذلك كله همهم الى الاستيلاء عليها أو هدمها حتى

«١» مجلة الآثار

«٢» منقول بتصرف عن الآثار وتاريخ الامير حيدر

«٣» يقول المحي في كتابه خلاصة الأثر م ١ ص ٣٨١ ثم ان السلطان « احمد » اتخذ « الحافظ » سرداراً على قتال الامير فخر الدين بن معن وامر كاتل حلب وكان ديار بكر وكاف طرابلس وامراء الاكراد ونحو النصف من السباهية وعساكر دمشق وعساكر حلب الجميع يكتلون تبعاً له فتوجه بنحو ثلاثين الفا وحاصر ابن معن تسعة شهر فلم يقدر أن يأخذ قلعة من القلاع «٣» الامير حيدر باختصار ٦٤٨

لا تكون مقتصا للخارجين عليها - إن محمد باشا الوزير الاعظم ومحمد شركس باشا الذي خلف الحافظ على ولاية دمشق لم يكن ليورق في اعينهما بعد رجوع الامير يونس الى حظيرة الطاعة وعفوها عنه وتأمين أخيه الأمير فخر الدين بالرجوع إلى بلاده الا استلام القلاع حتى ان الوزير محمد باشا طلب من الامير يونس وهو في حلب تسليمها وبعد مراجعات كثيرة تقرر مع الوزير وحسين اليازجي هدم القلاع فتوجه هذا ومصطفى كندوباكير بك والامير يونس الحرفوش (١) الى القلاع وبعد إخراج ما فيها استحضروا بنائين وهدموها واستمروا في هذا العمل نحو اربعين يوما وكان ذلك عام ١٠٢٥هـ ١٦١٦م

وفي كتاب أخبار الأعيان (٢) (وسنة ٦١٦) طلب من الامير يونس قائد الحسين جنديا (٣) الذي ارسله جر كس باشا الى حصن ارنون وحصن تيرون محافظا ان يخرج رجاله العرب منها فشق ذلك على الامير وأمر بهدمها فلما بلغ الوزير ذلك سر جداً وأمر بخراجها فد كوهما كالى الارض . واما المحي (٤) فقد روى الخبر بما هذا محصله وهو انه لما عزل الحافظ عن ولاية الشام خرج كيوان من صيدا وحده وترك ابن معن في بلاد الفرنج ليكشف له الحال فرأى محمد باشا الوزير قد صار سرداراً على المعجم ونزل حلب واراد تصحيح امر الشام فخرج اليه الامير يونس بن الحرفوش امير بعلبك وكيوان وتوافقا معه على ان يهدما قلعة الشقيف وقلعة بانياس ويسلما اليه مالا وتعطي البلاد لابنه الأمير علي وطلب الامان للأمير فخر الدين وفي ذخائر لبنسان ان الامير علي بن الامير فخر الدين هو الذي هدم قلعتي ارنون وتيرون .

«١» الامير حيدر باختصار ص ٦٤٨ «٢» ص ٢٧١ «٣» حين محافظا دلي القلعين بالتاس الامير يونس «٤» خلاصة الاثر م ٣ ص ٣٠٢



واما السانح كيران فقد اختزل الكلام عنها من عهد الامير فخر الدين المعني وجاء في خاتمة ما كتبه عنهما هذا محصله : « وفي ابتداء القرن السابع عشر ( الميلادي ) اوجد فيها فخر الدين المعني بعض الاصلاح واهملت من ذلك الوقت ( ١١ )

واما المؤرخان الامير حيدر الشهابي وصاحب اخبار الأعيان فقد طوبا اسم هذه القلعة وحديث تعميرها وتدميرها وما منيت به من الاحداث من عام ١٠٢٥ ١٦١٦م الى عام ١١٨٣ ١٧٦٩ وهي مدة تتجاوز القرن ونصف القرن تداولت خلالها احكام البلاد المنسوبة اليها ( بلاد الشقيف ) بين الحكام الاقطاعيين من أمراء جبل عاملة ومن غيرهم .

وانت خبير ان طيها صهيقتها التاريخية في هذا الأمد البعيد طي الصحف المنسية لا يجعلها منسية عند أمراء ذلك العهد وهم اخرج الى اقامة المعامل والحصون حماية لبلادهم التي كانت مستهدفة لمطامع المتغلبين من أمراء مجاورها وفوضى الولاة العثمانيين ضاربة اطنابها في عرض القطر الشامي وطوله . وهم اولئك الولاة تمزيق شمله كل بمزق وتفريق سكانه الى شيع واحزاب يسطو قوتهم بضعفهم ارتياداً لمنافعهم الخاصة وتطبيقاً لقاعدة ( فرق تسد ) تلك القاعدة المتبعة عندهم . لا جرم ان من المحتوم على أمراء جبل عامل وهم تحت افاعيل هذه السياسة وتلك المؤثرات ان لا يدعوا قلاعهم وفي طليعتها قلعة الشقيف الشاه غفلا عن التعمير وهي من امتع ما يعتصمون به في ميدان التنازع المستمر في تلك الايام العصيبة .

على ان الامير حيدر وان اهل ذكر هذه القلعة واخوانها في ذلك الامد الطويل صراحة فقد جاء فيه ضمنا ما يشهر بعمرانها في الجملة خلال تلك الازمنة حيث قال :

« ١٦ » صاح هذه البلاد منتصف القرن الثالث عشر الهجري والثامن عشر ميلادي

وكان الشيخ ظاهر عمر متفقا مع مشايخ المتأولة « الشيعة » حكام مدينة صور وبلاد بشارة . وكان في تلك الايام اعظمهم جاها . واكثرهم مالا ورجالا الشيخ ناصيف النصار وكان تحت يده حصون منيعة ، واباطل اشداء ، فطابت لهم الايام ، وغفلت عنهم حكام بلاد الشوف من الغارات والغزوات المعتادة بينهم

تولى امرة جبل عامل أمراء منه كانوا مستقلين في ادارته يتولونه التزاما بطريقة الحكم الاقطاعي تلك الطريقة المعروفة في القرون الاخيرة ويرجعون في اموره السياسية وفي تأدية اموال الالتزام الى نواب السلطنة الذين كانوا يكونون في بلاد الشام نوابا للمتغلبين على حكمها من سلاطين مصر وسلاطين العثمانيين من عهد استيلائهم على ديار الشام الى العهد الذي انقلب فيه شكل تلك الادارة المختلة الى الشكل الاخير المنظم .

ان اقدم امراء جبل عامل الذين يدور ذكرهم على الاسنة ويتناقل حديث امرتهم عليه الخلف عن السلف هم ( بنو سودون ) واليههم تنسب عين ( ابو سودون ) في وادي الحجير المعروف ثم آل الصغير والسادة الشكرية وآل صعب وآل منكر . وآل الزين ( ١ ) اما بنو سودون فقد انقرضوا وباد اسمهم وحديثهم شبه بصورة . وكانوا في عهد نواب السلطنة المصرية في دمشق واما بنو شكر فقد انتزعوا من الصغيرين حكم بلاد بشارة حيناً من الدهر . وكانت قاعدتهم قلعة تبين . ثم استردها منهم آل الصغير

« ١٦ » ولي حكم بلاد بشارة من هذه الاسرة رجلان الاول الشيخ زين والثاني الشيخ علي وهو الذي ذهب ماضيا من الجزار واقام في الهند واستوزر لأحد ملوكها كما ان الحاج طالب الزين كان متسلم صور من عهد غير بعيد .



واقسم الاسر الثلاث الصغيرة والصعبة والمنكوبة حكم البلاد . فكان القسم الجنوبي منها وهو ما يفصله الليطاني عن القسم الشمالي ، والمعروف ببلاد بشارة القبلية ، والمتاخم جنوبا عكا . وصفد ، وشرقا الحولة ومنبع نهر الخاصاني وغربا البحر المتوسط سهما للاسرة الاولى منقسما بين رجالها . والقسم الشمالي من الاولى او من ساحل صيدا ، شمالا الى الليطاني جنوبا وما بين غربي لبنان والبحر المتوسط شرقا وغربا مقسما بين رجال امري صعب ومنكر . فكانت مقاطعة الشقيف للاسرة الاولى ، واقليم التفاح التفاح والشومر للثانية . وما في تلك المقاطعات من قلاع متداعية ، وحصون مهدمة ، قام رجال تلك الاسر باعادة بنائه ، وتوميم مستهدمه واحداثوا حصونا جديدة تدفع عن بلادهم غارات اعدائهم الكثيرين .

اما تاريخ ترميم قديمها واحداث جديدها فيرجع زمنه على ما عثرنا عليه ، بعد التنقيب من مظان كثيرة من نتف مبددة اكل الدهر عليها وشرب وسلمت من ايدي الضياع الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري تقريبا . ففي ربيقات حوت حوادث ذلك القرن تقريبا « أن احمد منصور واحمد فارس ، اقاما في قلعة الشقيف عام ١١٥١ هـ ١٧٣٨ م فعمراها واحداثا فيها بوابة ، وقتل حسين الشاهين وخرجوا منها »

وقال الشيخ علي رضا وهو ممن كتبوا تاريخ ذلك القرن بلغة عامية « إن الصعبة قبضوا عام ١١٥٧ هـ ( ١٧٤٤ م ) على الشيخ محمد فارس ووضعوه في قلعة ارنون » ومن عهد ترميمها الى عام ١١٩٥ اورد حديثهما وحديث حكامها الصعبيين من كتبوا تاريخ هاتيك الايام .

اما الاسرة الصعبة على ما افادني بعض اعيانها فهو بهاء الدين من

اعقاب الافضل نور الدين الايوبي اقام في دير عجلتون « ١ » مرابطا في سريتين من الجند واليه ينتمي جد الصعبة علي صعب « ٢ » ومن احفاده الشيخان علي « ١ » وحيدر « ٢ » ابنا احمد بن حيدر بن فارس . وفي ايامها ازدهر عمران قلعة الشقيف واستعادت سامق مجدها ، وسابق عزها وسالف عهدها ، كما ازدهرت قلاع تبنين وهونين ومارون وشمع ودهوبيه في البشارة القبلية « ٣ » وحصن جبع « ٤ » وقلعة ميس « ٥ » فامتنع جبل عامل بهذه القلاع والحصون وبقرسانه الذين كانوا يناهزون عشرة آلاف فارس « ٦ » وظلت قلعة الشقيف زاوية زاهرة بمنفعة على الحصار من عهد ترميمها عام ١١٥١ هـ ١٧٣٨ م كما سبق البيان الى عام ١١٩٥ هـ

( ١ ) موقعه على هضبة بين الجرمي وقرية كفرمان متوسطا بينهما وعلى بعد ميلين من كلا القرين مشرفا على نبع الماذنة ( ٢ ) اما لقبه بصعب فيذكرون له سببا وهو انه بينما كان هو وبعض رجاله في ميدان الجرمق وبعض رجال الجرمق من الدروز يتناقفون علي ظهور خيلهم في الترامي بالصبي ( الجريد ) ومن فارسا من الدروز بهصا فاصابت منه قتلا فدهش المتناقفون من قوته وقالوا ان هذا الضرب صعب فلقب لذلك بصعب .

( ١ ) من احفاده بكوات المروانية ( ٢ ) من اعقاب بكوات النبطية ومشايخ النصار وكفر رمان والبابلية ( ٣ ) كان حاكمها في ذلك الشيخ ناصيف النصار السير ( ٤ ) لا يزال بعض ابنته قائما في قرية جبع قاعدة التفاح وقد اتخذ في هذه الايام مدرسة بعد ان أدخل فيه بعض اصلاح كان هذا الحصن في يد المناكر وهم الذين احدثوه ( ٥ ) على مقربة من الزرارية وطن بعض الفضلاء انما هي قلعة ابي الحسن التي ذكرت في حروب صلاح الدين الايوبي قائمة على هضبة وعلى مقربة منها عين سميت عين الحاج حسن كانت تحت يد الحكم المنكربين وهم الذين رموها وهذا وهم فان قلعة ابي الحسن من اعمال جزين بينما وبين صيدها

( ٦ ) عن مقال المؤرخ جرجي بني صاحب تاريخ سورية نشره في مجلة المقتطف الشهيرة .



١٧٨٠ م الذي باغت فيه الجزائر امير بلاد بشارة ناصيف النصر بجيشه ورجله قبل أن يستجمع قواته فقابل عسكر الجزائر بقتلة قليلة فلم تلبث أن تشتت شملها وتفرق جمعها . وقتل ناصيف واخوه ابو حمد « ١ » فعانت عساكر الجزائر في البلاد واستولوا على قلعتي تبنين وهونين وبعد محاصرة الشيخ حيدر الفارس في قلعة الشقيف شهرين « ٢ » استولوا عليها سلماً وصادوا كل ما في القلعة وهدموها .

إن من كتب تاريخ ذلك القرن من العاملين أرخ وقوع هذا الحادث الخطير في هذا العام ولكن الامير حيدر أرخه في عام ١١٩٧ هـ ١٧٨٢ م « ٣ »

وسنة ١٨٣٧ م ( ١٢٥٢ هـ ) هدم اعلاها بالزلزلة الشديدة التي هدمت صفد والجش وغيرهما من الاماكن وفقدت اهميتها واخذ اهالي النواحي المجاورة ينقلون حجارتها فيبنون بها بيوتهم . وصارت تلك القلعة العظيمة وقعاتها الجميلة التي كانت مسكناً للامراء والاشراف خراباً ومأوى للرعاة والماشية « ٤ » .

( ١ ) قال الامير حيدر الشهابي ( وكان بعد في الحرب بالف فارس قتل ابو حمد هذا وابن اخيه قاسم المراد بوقمة في الجولات بينه وبين عرب غزة سنة ١١٩٣ اي قبل مقتل اخيه الشيخ ناصيف بستين

( ٢ ) هكذا جاء في بعض المخطوطات واما الامير حيدر فقد قال وحاصروا قلعة شقيف ارنون وكان بها الشيخ حيدر الفارض وبعد ايام سلم فأخذوها بالامان

( ٣ ) م ٨١ « ٤ » الدائرة م ٣ ص ٣٥٥

ويقال ان باب قلعتها الحديدية العظيم نقل منها الى عكا ايام نكبة الجزائر امراء البلاد وتدمير قلاعهم وانه جعل باباً لمدينة عكا .

وقد نقل الشيخ حسن الفارس الصعي جانيا من احجارها الملوثة الى قريته البابية زين بها بعض المباني التي احدثها فيها « ١ » .

إن التدمير لم يطل غير اعالي القلعة وبعض ابوابها واسوارها واما ما تحتها من الابنية الفخمة فلم تكن لتنال أو تستطال .

« ١ » كان ذلك أوائل القرن الثالث عشر الهجري بعد نكبة ابيه الشيخ حيدر وعمه الشيخ هلي .



## التعريف بعظمتها الطبيعية والعمرانية

لم نر من مؤرخي العرب من وصف قلعة الشقيف وصفا يمتعا يناسب مكانتها العمرانية ، وموقعها الطبيعي ويوقر في نفوس محبي الفن والجمال معنهما المائل فيها والآخذ بمجامع القلوب ، ويغلي عليها بدائع ما افرغته فيها قرائع بناتها من الرواء العمراني المتناسق الى روعتها الطبيعية ، وما انضم اليهما من وضعها الحربي الذي هو آية في التحصين ، ونهاية الابداع في الامتناع على كل من يحاول الاستيلاء عليها عنوة .

وجل ما كتبه مؤرخو العرب في وصفها والتعريف بها وهو ما كان من متناول أيدينا لا يعدو الجمل الآتية :

صار صلاح الدين الى شقيف (ارنوم) وهو من امنع الحصون (١) .  
والشقيف كالكهف اضيف الى ارنون اسم رجل إما رومي وإما افرنجي ،  
وهو قلعة حصينة جداً في كهف الجبل قرب بانياس (٢) .

وجدد عزمه (صلاح الدين) على قصد شقيف ارنون وهو موضع  
حصين قرب بانياس (٣) .

ويعرف ايضا بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل

«١» الكامل لابن الاثير وقد ابدل الميم بالنون :

«٢» معجم البلدان ومرآة الاطلاع لياقوت «٣» المشترك

«٤» ابن شداد «٥» وفيات الاعيان لابن خلكان

بعضه مغارة منحوتة في الصخر ، وبعضه له سور ، وهو في غاية  
الحصانة (١) .

ثم خرج (صلاح الدين) الى شقيف ارنون ، وهو موضع حصين  
فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف (٢) .

وبالقرب منها (قلعة تيروت) على خمسة فراسخ قلعة ارنون وهي  
ايضا حصينة جداً (٣) .

وبالجملة فان كل من تعرض لذكرها من عاصروا عمراتها ، ومن جاء  
بعدهم لم يجاوزوا في وصفها والتعريف بها هذه المضامين . وهي ان  
أفادت فائدة فلم ترد على ان ميزت (الشقيف) احد اسمائها مجردا عن  
الاضافة الى (ارنون) عن مسميات كثيرة تشاركها فيه . وما وراء ذلك  
من التعريف بأبنيتها الفخمة ووصف أوضاعها الهندسية الدقيقة . وما بولغ  
فيه من تحصينها . وجعلها امنع من عقاب الجو على كل غاز ومتغلب فقد  
اغفل ذلك كله المؤرخون لحوادث أيامها وقد شاهدوا بأعينهم آيات  
عظمتها ، وهي في ابهة عمراتها يتاح لهم الوقوف على ما أبدعته فيها فن  
عقود الابنية من الاحكام ، وما افرغه (علم الهندسة) من الانتظام ،  
مضافا الى ما اختصت به من موقعها من روعة الاعظام ؛ فهل قعد بهم  
العجز عن وصف ما اجتمع فيها من من البدائع حيث شاهدوا فيها معنى  
الجمال الذي يدرك ولا يوصف فشغلهم استهواؤهم بروائه واستسلامهم  
لروعه عن وصفها فسكنوا عنه واجبن مفحمين .

وافق السلطان صلاح الدين من كان يحصي انفاسه ويقيده كل شاردة

«١» ابن سباط «٢» ابن خلكان «٣» ابن خلكان



وواردة أمثال القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني وابن شداد من ائمة  
البلاغة وأقطاب الكتابة ورواد التاريخ فلم يغادروا من أعماله صغيرة  
ولا كبيرة الا وقد احصوها . ولا الفرر والحجول من أيامه الا وقد  
قيدوها ، ولا حديثا من احاديث فتوحاته الا روره مصححاً مخصصاً ،  
ولا حادثاً من حوادث الديار التي جاس خلالها بخيله ورجله والحصون التي  
افتتح ابقارها وعونها بمنجنيقاته ، الا وقد ذكره مفصلاً ، ولا مهبطاً  
هبطه بجنده الباسل . ومصعداً اصعد به فيا لقه المنصورة الا وكان لهم من  
وصفه المعجب المطرب .

فكيف يقعدهم العجز عن وصف هذه القلعة . والاشادة بمحاسنها ،  
والتنويه بجلالها الذي يثير كامن القرائح ويدع العي بليفاً ، والمفجع شاعراً .

وقد جاء بعدهم من حملة الافلام من لا يقصر عن الجري في حلبتهم ،  
وصحب مثل من صحبوا من الملوك الذين وقعت في أيديهم ، ورأى من  
مبدع عمراتها ، ومهجز بنيانها ما رآه فلم يتخط في وصفها وصفهم الموهج  
بل كان لهم تابعا ولعل مؤرخي الصليبيين الذين شاهدوا وقد وقعت في  
قبضتهم ما شاهده كتاب المسلمين لم يغفلوا وصفها .

لا جرم انهم لم يحجموا عن وصفها هذا الاحجام انعاماً وعياً ، ولا  
كان تركهم التعريف بها عمداً وقصداً ، والذي يلوح لنا من تحليل ذلك  
ان المتغلبين عليها هم الذين حالوا بينهم وبين ما يشتهون لما يؤدي ذلك  
من الادلال على عورتها ، وكشف أمارها للعهد وذلك مما يقتضيه  
العرف الحربي وخطط الدفاع فبقيت وهي حافلة بعمراتها ، آلهة بحاميتها  
سرا في ضمير الدهر مكتوماً ، مستنمة على الصحائف والقرائح . امتناعها  
على بيض الصفائح ، متعاضية على تعريف المعرفين ووصف الواصفين .

عصيانها على منجنيقات المحاصرين ، وجيوش الغزاة الفاتحين ، ولم تلن  
لواصفها شكيمتها ، الا بعد ان فلت خطوب الدهر عزيمتها ، وثلت  
أيدي المتغلبين المتعاقبين عليها أخذاً ورداً عروشها ، فأصبحت اثراً من  
الآثار ، ونخبوا من الاخبار ، طامسة الاعلام مطوية كثير من صحائف  
عمراتها تحت انقاضها المتراكمة يرتادها الزائرون من امم شتى ، وهواة  
الآثار القديمة الدارسة من قريب وبعيد .

لم يبلغ منها الرواد والسائحون حاجتهم ، والباحثون وطرحهم الا بعد  
ظفر الجزار بحكام جبل عامل ، ووضع يده على حصونهم وتدميرها ،  
واعراض الولاة العثمانيين بعد ادالتهم حكم الوطنيين وزوال اقطاعيتهم  
عن البلاد عن تجديدها وتعميرها .

طويت صحيفة عمراتها من ذلك العهد . وقضت عليها السياسة العثمانية  
ان تبقى مطوية الى الابد ، ولكنها لم تطو اسمها من سجل التاريخ  
الحافل بأخبارها كما لم تقض على كل ما فيها من الابنية الضخمة الشاهدة الى  
على ما أبدعته فيها أيدي العناء ، تركت فيها صحيفة مقعقة بنفائس  
الآثار بما استبقت عليه من ذماء ووعتها . ودلائل عظمتها ، وقد ارتفع  
الحجر على الباحثين الاوروبيين .

زار هذه البلاد كثير من باحثيهم وزيارة هذه القلعة من أولى خططهم  
لشهرتها الواسعة في الحروب الصليبية ولتداول الاستيلاء عليها بين العرب  
واجدادهم فكان من زائريها في عهد الجزار فولته الفرنسي (١) وقد

«١» كنا أوردنا اسم فولتر بدلا من فولته فبقيتنا مجلة المشرق الى هذا الخطأ فلها الشكر .



وقفنا على طرف من رحلته نقلته الى العربية بحلة المباحث وفيه الماع الى كثير من حوادث تلك الايام . والماسم باديان القطر السوري ومذاهب سكانه . وابحث عن موقف البلاد ( ومنها جبل عامل ) العلمي والزراعي والاقتصادي والعمراني والاخلاقي . ولكننا لم نر في ما نقلته المباحث ذكراً للقلعة الشقيف . ولعلها كانت في ذلك الحين في قبضة الحكام العاملين عامرة بأبطالهم محجوبة عن الزائرين . وان ما كتب عنها لا يرجع العهد به على ما هو المظنون الى ما يجاوز أواسط القرن التاسع عشر الميلادي وهو الزمن الذي زار فيه سورية كيران السائح الفرنسي ولعله أول من كتب وصفها والتعريف بابنيتهما وأوضاعها من كتاب الفرنج الذين انسلوا اليها من كل حدب وصوب ، وهذا تعريب ما كتبه :

لهذه القلعة مدخل واحد من الجنوب ، وشكلها مثلث الزوايا ، وقياسها ١٦٠ متراً طولاً و ١٠٠ عرض تقريباً . يحيط بها من بقية جهاتها آبار منقورة في الصخر . ومحيطها من الجهة الشرقية مسيل ماء مهيب يسمى ( نهر الليطاني ) تسيل مياهه على عدة أمتار منها الى الخفيض ، وفي الجنوب خارجاً يوجد حوض في الصخر . وفي الغرب صهاريج فيها أحواض حجة منقورة في الصخر الصلد مسقوفة بعقود حجرية وفي الشمال حوض قسم منه منقور في الصخر ، وقسم يقوم عليه بناء . وبدرانها المحيطة بها منحدره وفي داخل القلعة أحواض كثيرة كان يجتمع فيها من المياه ما يسد أعواز المحصورين مدة الحصار .

وهي تنقسم الى قسمين قسم منخفض يحده من الجهة الشرقية عقاب الليطاني وهي بعيدة المهوى صعبة المرتقى . وقسم مرتفع مبني على قمة الصخر المسماة العليا ولا تزال قائمة فيها أبراج من القديم تميل عمودياً الى الاودية

المحدقة بها . وفي القلعة ابناء ( صالات ) وحوانيت وغرف متلاصقة يفصل بينها ممر مسقوف بعقود .

وفيها طبقان ببناء مختلف يستدل منه على قدمها . والمتهدم منها نحو ثلاثة أرباعها . والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية يظهر منه من الجهة الجنوبية بقايا برجين مستديرين جميلين . وهو مبني بحجارة كبيرة قائم على حائط منحدر قد بني على حجارة صقيلة يصعب بل يتعذر على الانسان تسلقها . والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ . وركائزه السفلى قائمة على الصخر منضدة من حجارة ضخمة غالبها منحوت . واما الساف ( جمع سافة ) العلا ( المداميك ) فهي اصغر من السفلى . ويظهر أنها حديثة البناء وفيها درج منحوت في الصخر يصل بعضها ببعض « ١ » .

واليك خلاصة ما جاء في دائرة المعارف من وصفها « ٢ » وفي الطريق من القرية ( ارنون ) الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء ، واقعة على سفح التل ، وبالقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة ، يحيط بها سور وبرجان مستديران والى الجنوب الغربي منها فسحة من الارض مستوية يظن انها كانت ميداناً للساكر .

ومدخل القلعة الكبير هو من الجهة الجنوبية ، ولم تزل هناك اثار حوض جميل متصل بالخندق المحفور في حجر صلب في الجهة الغربية وجانب القلعة الجنوبي ، وليس لباقي جهاتها خندق لان استحالة الوصول اليها من جهة أخرى أغنتها عن ذلك . ثم ان قنة التل ضيقة جداً حتى أت القلعة أعرض منها . وكان يدخل اليها على جسر متنقل في جنوبها . وهناك



آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون . وبالقرب من الزاوية الشرقية ابنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها .

« والقلعة مستطيلة وضيقة جداً بحسب الارض التي بنيت عليها فلا مناسبة بين طولها وعرضها » (١) .

« واما حجارتها فكلها مربعة الزوايا إلا أنها ليست بكبيرة كالحجارة في القدس وبعلبك ، ولا بحكمة النحت نظيرها إلا أنها تشبهها مشابهاً عمومية . ووسط وجهها الخارجي خشن غير منحوت . وهي ألين من حجارة القدس ولذلك قد أثر فيها الهواء مع تقادي الزمان .

« وفي القلعة عدة أبراج مربعة بارزة . وإلى الجهة الجنوبية الغربية منها برج مستدير أسامانه مستديرة مائلة ، ولذلك كله منظر جميل ، وكان إلى شرقي البرج المذكور باب صغير بقنطرة مستديرة من حجارة محكمة النحت ذات نقوش ظريفة ، وجدوان اقلعة متينة ومرتفعة . وارتفاعها عن الخندق من ٦٠ إلى ٨٠ قدماً . وطولها نحو ٨٠٠ قدم . وعرضها مختلف لا يتجاوز معظمه ٣٠٠ قدم » .

وجاء في وصفها عن بيدكر (١) ما هذا موضع الحاجة منه :

« وهي محاطة من الجنوب ومن الغرب بهوة عميقة محفورة في الصخر عمقها ١٩ متراً إلى ٣٦ متراً . ومن الجنوب فقط تتصل القلعة بذروة الجبل ومدخلها إلى الجنوب الشرقي وطولها ١٢٠ متراً . وعمقها ٣٥ ومن

« ١ » تركنا شيئاً مما جاء في الدائرة من وصفها المذكور في موضعه من أحد أقسام تاريخنا وأعدنا بعض ما ذكرنا . هناك لملاقته بهذا القسم .

« ١ » مجلة المقتبس

طرفها الشمالي بناءً فائقاً . طولها ٢١ متراً متجهاً إلى الشرق . وفناؤها أو صحنها في الجهة الشرقية منها عمقه نحو ١٦ متراً . ومثلها الابنية الخارجية ولها الخدار يختلف من ستة إلى ٩ أمتار . وقد قام على الحائط الجنوبي برجان على شكل نصف دائرة .

ان في الشقيف العظيم القائمة عليه هذه القلعة السماء كهفاً متسماً جداً يتخذه رعاة القرى المجاورة لها زريبة ( مأوى ) إلى ما شئتهم أيام الشتاء ومدخله شرقيها حيث المنحدر المسمى المزحلق .

« وفي الشرق الشمالي منها عند حضيض الجبل القائمة عليه آثار حمام يزعم الكثيرون انه كان تابعاً لها .

ويدور على ألسنة البعض من سكان قرى الشقيف المجاورة لها أن فيها نفقا مثقوبا في الجبل القائمة عليه ينتهي عند حضيضه حيث مجرى اليبطاني وان حاميته كانت تستقي من مياهه أيام الحصار . ويزعم بعضهم أن من آبائهم من شاهد بأعينه مدخل ذلك النفق . ومشى فيه مسافة عقود من الأمتار . ولم يبلغ منتهاه لحيولة الروم دونه ودون مبتغاه ، وهو زعم يدفعه ما اشتملت عليه القلعة داخلاً وخارجاً من الصهاريج والاحواض والآبار ما يربو على حاجة المحصورين مهما طالت مدة الحصار .

« وبعد فان ما وصفت به مباني القلعة لم يتناول إلا القائم منها والسالم من فتحة الدهر . واما الدائر والمتروك تحت الانقاض . وخاصة الذي الذي كان في القسم الجنوبي منها فانه لم تزل مطوية صحيفة البحث عنه طيه تحت الثرى محجوباً عن انظار الباحثين » .



## بين الاعمال والولايات والنيابات

كانت قلعة الشقيف تتبع بموقفها الاداري سياسة الغالب وموقفه في البلاد التي تشرف عليها من الساحل والجبل.

فكانت مرة عملا لبانياس قاعدة وادي التيم واخرى عملا للقدس . وثلاثة لصيداء ورابعة لصقد ، وتارة مركزاً لاعمال عظيمة ، وطوراً قاعدة للمملكة الشقيفية ، وآونة ولاية ، وحيناً نيابة ، ووقتها محافظة . وكانت تتسع رقعة ما يلتحق بها وتضيق تبعاً لمقتضيات ادارة الغالب .

قد سبق لنا كلام في تضاعيف هذا التاريخ بترجيح قيام هذه القلعة قبل الغزوة الاولى الصليبية لدير الشام . وانها كانت قبل ذلك العهد وفيه من اعمال خلفاء مصر ومن اعمال السلاجقة فيه .

اما المراكز التي كانت من اعمالها في تلك الايام فلا سبيل إلى معرفتها بالتحقيق ولكننا نستطيع ان نرجح اتحاقها باعمال وادي التيم حوالي اوائل القرن السادس الهجري والقرن الحادي عشر الميلادي مستندين في ذلك على امرين ترجيح قيامها قبل الغزوة الاولى الصليبية ، ووقوع جبل عامل على ما جاء في تاريخ الامير حيدر في قبضة ابي الضحاك ابن جندل البقاعي امير وادي التيم وقد اتصل به هذا العمل من جده جندل الذي كان مقدماً في الدولة الفاطمية وولي في ايامها اعمال وادي التيم وبقيت له في حياته ، ولبنيه بعد وفاته الى ان ظهر من ذرية جندل ابو الضحاك المذكور وكان شجاعاً ذا تدبير . واستولى على بلاد عامل وضماها الى بلاد

وادي التيم ولما توفي قام بعده ولده الضحاك وتولى على ما كان في يد ابيه . وكان من اعماله حصن شقيف تيرون ومنه اخذه عنوة شمس الملوك صاحب دمشق عام ٥٢٨ هـ ١١٣٣ م اما خير استيلاء ابي الضحاك على جبل عامل فلم نجد من تعرض لذكره غير الامير حيدر .

وفي كلام كيران ( انها وقعت في قبضة فوالك ملك القدس عام ١١٣٤ هـ ٥٣٤ ) ما يشعر بعمرانها حين وقوعها في قبضته . وعدم ورود ذكر لها قبل هذا التاريخ في اخبار استيلاء الصليبيين على المدائن التي تقضي السياسة ان تكون قواعد ترجع اليها في عملها كصيداء التي فتحوها عام ٥٥٤ هـ ١١١٠ م وصور التي اصبحت في قبضتهم عام ٥٥٨ هـ ١١٢٥ م وصغد التي وقعت في يدهم عام ٥٩٥ هـ ١١٠١ م يرجح التحاقها باعمال وادي التيم التي كانت لا تزال تحت احكام المسلمين في ذلك الحين . واما استيلاء الصليبيين على بانياس قاعدة ذلك العمل فقد كان عام ٥٤٣ هـ ١١٤٨ م أي بعد زمن وقوع قلعة الشقيف في يدهم بأربع سنوات .

ويظهر مما اورده الشهابي في تاريخه والشدياق في اخباره من سبب ارتحال الامراء الشهابيين من ديارهم الحورانية الى وادي التيم الذي كانت اعماله تحت الحكم الصليبي ان قلعة الشقيف كانت قاعدة اعمال جبل عامل عام ٥٦٨ هـ ١١٧٢ م وهو الزمن الذي نزل فيه الشهابيون بقبائلهم في وادي التيم وكان الصليبيون قد جعلوا مقر اعمالهم حاصيباً وحصنوها بالآلات الحربية ولما سمع الافرنج بنزولهم في وادي التيم جمعوا جمعهم وكانوا نحو خمسين الفا ما بين فارس وراجل وكان بطريقهم الكبير يقال له قنطورا ( الكونت اورا ) واستمد من دفاتر الافرنجي صاحب قلعة



الشقيف خمسة عشر الفا. وكان البطريق الذي في قلعة الشقيف يحكم على جميع بلاد عامل سهلها والجبل من ساحل صيداء الى عكا (١) .

وعام ١١٨٩ ٥٥٨٥ م وهو العام الذي جاء فيه صلاح الدين محاصراً كانت من اعمال صيداء ومن عمل صاحبها اذ ذاك ارناط ( ارلد ) .

قال العماد الاصفهاني في الفتح القسي « وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها ، وروح بالقلوب برحها ، من عمل صيداء قلعة ابي الحسن وشقيف ارنون » .

اما مقامها من الاعمال في عهد استيلاء صلاح الدين عليها الى عام ١٢٣٧ ٥٦٣٧ م وهو الزمن الذي اعيدت فيه مع قلعة صفد الى الصليبيين فلم نجد في كلمات المؤرخين ما يعتمد عليه في معرفته بالتحقيق . والظاهر انها كانت تتبع صيداء في العهدين الصلاحي والصليبي حتى عام ١٢٦٠ ٥٦٥٩ م وهو العام الذي اشتراها فيه الفرسان الهيكليون مع صيداء من صاحبها جوليان .

ولما خلفت الدولة التركية الدولة الايوبية في مصر وديار الشام (٢) « وقد تنقعت المملكة وترتبت ، فأخذت الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك ، وقيام اجمته ، ونقلت عن كل مملكة احسن ما فيها فسكنت

«١» هذا ما جاء في تاريخ الامير حيدر واما صاحب اخبار الاعيان فانه قد اجهل هذا التفصيل حيث قال وطلب الامداد من دقاتر صاحب قلعة الشقيف وما يليها .

«٢» كان ذلك عام ١٢٥٠ ٥٦٤٨ م

مبيلة . ونسجت على منواله حتى تهذبت وترتبت احسن ترتيب وفاق سائر الممالك ، وفخر ملكها على سائر الملوك (١)

أدركت هذه القلعة ما تستحقه من الترتيب وقد اصبحت في قبضة الرابع من ملوكها وهو الملك ( الظاهر بيبرس ) البندقداري (٢) وقد انتزعها من الفرسان الهيكليين عام ١٢٦٧ ٥٦٦٨ م وهو اول من جعل فيها دار نيابة . ويظهر بما جاء في نسخة عقد الهدنة بينه وبين ملكة (٣) بيروت في السنة التي استولى فيها على القلعة وهي سنة ١٢٦٧ ٥٦٦٩ م « والمملكة الشقيفية وما يختص بها من قلاعها وبلاوها ورعاياها (٤) انها جعلت قاعدة لمملكة تسمت باسمها . وكذلك يظهر من نسخة الهدنة التي عقدت بين السلطان الملك المنصور (فلاورن) الصالحي صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية وولده الملك الصالح علي ولي عهده ، وبين حكام الفرنج بعكا وما معها من بلاد سواحل الشام في شهر سنة ١٢٨٣ ٥٦٨٢ م « والشقيف المحروس المعروف بشقيف ارنون وما معه من البلاد والاعمال وما هو منسوب اليه (٥) انها كانت قاعدة اعمال مستقلة ولم تكن في ذينك العهدين الظاهري والصالحي لا من اعمال صيداء ولا من اعمال صفد .

اما تحديد الزمن الذي التحقت فيه اعمالها بصفد فلا سبيل اليه والراجح انه كان في اوائل القرن الثامن الهجري .

«١» صبح الاعشى ج ٦ ص ٦

«٢» ولي الملك عام ١٢٥٩ ٥٦٥٨ م وتوفي بدمشق سنة ١٢٧٨ ٥٦٧٦ م

«٣» هي مار كريتة ارملة بوخنا دوميتفات

«٤» صبح الاعشى ج ١٤ ص ٤٠ جاء ذكرها بهذا اللفظ في مقام تعداد ممالك المتهادين المرتبطة بصلة المنافع والمرافق وان المترددين من مجموع البلادين منها واليهام آمنون مطمئون علي نفوسهم واموالهم وبضائعهم «٥» صبح الاعشى ج ١٤ ص ٥٢



وقال القلقشندي في كتابه صبح الاعشى عند ذكره نواحي صفد واعمالها : وليس في اعمالها نيابة اصلا . وقد ذكر لها في مسالك الابصار احد عشر عملاً (١) وعد الشقيف العمل العاشر منها .

وقال القلقشندي في كتابه صبح الاعشى عند ذكره نواحي صفد واعمالها : (ولست من بلاد صفد) . وقال في آخر هذه الجملة : « قلت واقتصر في التعريف على ولاية بر صفد ، وولاية الشقيف وولاية جنين وولاية عكا وولاية الناصرة وولاية صور من غير زيادة » (١) وقال عند ذكر العمل الرابع وهو تبنين وهونين : وجعل العثماني في تاريخ صفد قلعة هونين من اعمال قلعة الشقيف .

وقال في ترتيب النيابات وليس باعمالها ( صفد ) نيابة بل كلها ولايات اجناد من قبل نائب صفد ، وهي احدى عشرة ولاية ، وعد الشقيف العاشرة منها .

وفي التعريف بالمصطلح ( وكان له « الشقيف » بر وله وال كما كان لغيره من البلاد المشهورة ) .

أما شيخ الربوة وهو من رجال القرن الثامن الهجري فانه لم يرد في بحثه الذي تعرض به لجبل عاملة وجباله وقلاعه ذكر لقلعة الشقيف البتة . هذا ما وقفنا عليه وما استنتجناه من كلمات المؤرخين في ما يتعلق بوقوفها في الاعمال والنيابات والولايات في مدى ثلاثة قرون ونيف من اوائل القرن السادس الى اوائل القرن التاسع الهجري .

واما موقفها بعد هذا العهد فقد طويت صحيفة البحث عنه الى اوائل القرن الحادي عشر الهجري والسادس عشر الميلادي وهو القرن الذي

« ١ » صبح الاعشى ج ٣ ص ٢٥٠ « ٢ » فيه ص ١٥٥

تبعه فيه امر المقيمين ، واستأثر منهم فيه الامير فخر الدين ببعد الصيت وضخامة الجاه ، واتساع دائرة الاقطاع .

فوقعت هذه القلعة في قبضته كما وقع غيرها من القلاع والحصون الكثيرة فتبعت في ذلك العهد بيروت وصيداء . وجعلت مركز محافظة ، وولياها اعمال محافظون فكانت مرة في محافظة حسين الطويل واخرى في اقطاع الشيخ يربك العماد وثالثة كانت هي وشقيف تيرون تحت محافظة قائد خمسين مكبانيا من قبل الدولة العثمانية كما اتفق ذلك في مدة غيبة الامير فخر الدين المعني في اوروبا وذلك آخر العهد بها من العمران والاعمال في ذلك القرن الذي قضت به السياسة العثمانية قضاءً جائراً ، ان قضي صورتها الجميلة من لوح العمران .

ولما جدد الامراء العاملون الدائر من قلاعهم ، وحدثوا ما أحدثوه من الحصون في منتصف القرن الثاني عشر الهجري واواخر الثامن عشر الميلادي جعلت قاعدة الاعمال المنسوبة اليها تحت يد حكامها الصغيبين وانضوت تحت لواء الاتحاد العاملي الاقطاعي المؤلف من المقاطعات الثمان وهي تبنين وهونين وساحل معركة وساحل قانا ومرجعير والشقيف واقليم الشومر وجبع الخلاوة والمرجع العام للمقاطعات الثمان تبنين والحاكم فيها من آل الصغير . ولم يمض القرن الثاني عشر في بحر الازمنة المنقرضة حتى غاصت فيه هذه الدرة الفريدة مطوية المحاسن في في اقصى اعماقه يحدث عن عظمتها ما أبقت من الشعاع المتألق في قمة ذلك الجبل وما حفظه التاريخ من الآثار مدى الدهور والاعصار .



## بين الحصار والنار

إن موقع قلعة الشقيف الحربي الحصين وهو ما عرفت مسكانته من تضاعف هذا المقال التاريخي غير مرة جعلها موضوع اهتمام المتغلبين ، ومطمح انظار الفاتحين ، فوجهوا شطرها وجوه قواتهم فتطاحت حول اسوارها ومن عجب امرها الدال على عظيم منعتها أنها لم تقمع ابوابها المهاجم عنوة قط مهما غلظت قوة ذلك المهاجم وطالت مدة حصاره بل كانت تنتقل من متغلب الى آخر سلماً وصلحاً بعد التضييق على حاميةها ، وقطع الميرة والذخيرة عنها ، فلم تملك بكثرة جيوش المحاصرين ولا بما كانت ترميها به المنجنيقات والكمباز والعمرادات والمدافع من مقذوفات النار والاحجار .

إن اورد لها بعض المؤرخين ذكرنا رجوع فيه الى ما يسبق عهد صلاح الدين بما يربو على نصف قرن فقد اجمع المؤرخون على عدم سبقي متغلب له في قصدها بالفتح والحصار - واما رواية بعض متأخري المؤرخين من تملك شمس الملوك اسماعيل ملك دمشق لها سنة ٥٢٨ هـ ١١٣٣ م بعد امتناعها عليه واخذها من الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم فيدفعها تصريح ابن الاثير في كاملة بأن الشقيف الذي تملكه شمس الملوك في هذا العهد هو شقيف تيرون لاشقيف ارنون «١» .

«١» ج ١١ ص ٤ قال في السنة ٥٢٨ هـ في المحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق منها الى شقيف تيرون وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به فتحاه المسلمون والفرنج يهتمي على كل طائفة بالآخرين فسار شمس الملوك اليه في السنة وأخذه منه في المحرم .

ومثل هذه الرواية في البطلان زعم بعضهم استيلاء شيخ رئيس الاسماعيليه عليها مدة من الزمن فان اراد شيخ الجبل بهرام ابن اخت الاسد ابادي ولا يريد غيره فلم يضع هذا يده على غير قلعة بانياس وذلك انه لما قتل خاله الاسد ابادي في بغداد هرب الى الشام وصار داعي الاسماعيليه فيه فاستجاب له اوباش الناس وطغمامهم وكثر جمعه واقام مدة في حلب ونفق على صاحبها ايلغازي واراد ان يعتضده لانقاء الناس شره وشرب اصحابه لانهم كانوا يقتلون كل من خالفهم واسار ايلغازي على طغتكين صاحب دمشق بأن يجعله عنده لهذا السبب فقبل رايه واخذه اليه فظاهر شخصه بعد ان كان يخفيه واعلن هداوته فكثرت اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير ابو طاهر بن سعد المرغيناني قصد الاعتضاد به على ما يريد وهو الذي اشار على طغتكين بتسليمه قلعة بانياس سنة ٥٢٠ هـ لما طلب منه حصناً يأوي اليه هو واتباعه ، وقد رأى من اهل دمشق فظاظة وغلظة عليه وخاف عاديته بعد ان استفحل امره وعظم شره وملك عدة حصون من الجبال منها : القدموس وغيره من قلاع الدعوة ، وكان بوادي التيم من اعمال بعلبك اصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدروز والمجوس وغيرهم واميرهم اسمه الضحاك ، فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقتلهم فخرج اليه الضحاك في الف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة ، وقتل بهرام وانهمز من سلم وعادوا الى بانياس على أقبح صورة .

هذا ملخص ما رواه ثقة المؤرخين ابن الاثير «١» من سيرة بهرام شيخ الاسماعيليه وليس فيما رواه تصريح او تلويح بامتلاكه قلعة الشقيف



نعم استولى على حصون الجبال المجاورة للقدموس الذي هو أحدها وهي التي أطلق عليها اسم قلاع الدعوة في عهد الدولتين الأيوبية والتركبة واستقرت في أيدي خلفاء بهرام من الإسماعيليين عملاً مستقلاً «١»  
وإذا انتفت رواية استيلاء شمس الملوك عليها ودعوى وقوعها في يد بهرام شيخ الإسماعيلية قبل ذلك عنوة أو صلحاً ثبت سبق صلاح الدين كل من طمع بالاستيلاء عليها في قصدها بالحصار والفتح .  
أما سبب قصدها بالحصار والخبر عن ذلك وعن استيلائه عليها فإليك منه ما يتسع له المقال ويحتمله المقام :

لما حالف النصر جيش ذلك المجاهد العظيم في الوقائع التي شئت بينه وبين الصليبيين نازها وسقط في يده أعظم ثغور الشام الجنوبي ومدائنه وكانت سنة الثلاثة بعد الثمانين والخمسةائة يده سلسلة انتصاراته الباهرة وفتوحاته المتتابعة التي ظلت محافاة له حتى السنة التاسعة والثمانين وهي السنة التي غربت فيها شمس حياته . وكانت قد بقيت إلى سنة ٨٥ من المدن الساحلية مدينة عورم تنع على موقعها الطبيعي المحصن من البر والبحر وبما انضم إليها من فلول البلاد التي سقطت في يده ومن النجعات التي انتهت من البحر قولى وجهه سطرها معتزماً فتحها ولما رأى أن بقاء قلعة الشقيف معقصة بحاميتها الصليبية وهي على ما عرفت به من موقعها الحصين يقطع عنه الميرة إن قصد صور وتوكلها وراة صمم النية على حصارها وفتحها والتفرغ بعد ذلك إلى قصد صور . قال ابن خلدون في تاريخه «٢» ثم سار صلاح الدين في ربيع سنة خمس وثمانين إلى محاصرة الشقيف وكان لأرنط

«١» قلاع الدعوة هي ست بخروج مصيف منها وإضافتها إلى دمشق في ذلك العهد وكان لها ست نيايات وهي الرصافة والحواوي والقدموس والكهف والمذبة والقلعة وكان يولى عليها «أتاب طرابلس» ملخص عن صحيح الأعشى م ٤ ص ٢٣٦ و٢٣٧  
«٢» المبرج ص ٣١٧

صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرراً ودهاءاً فلما نزل صلاح الدين مرج العيون جاء إليه وأظهر له المحبة والميل وطلب المهلة إلى جمادى الآخرة ليتخلص أهله وولده من المراكيش (المراكيز) بصور ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هناك لوعده وانقضت مدة الهدنة بينه وبين سمند «١» صاحب انطاكية فبعث تقي الدين ابن أخيه مسلحة في العساكر إلى البلاد التي قرب انطاكية ، ثم بلغه اجتماع الفرنج بصور عند المراكيش وإن الامداد وافقتهم من أهل ملتهم وراء البحر وإن ملك الفرنج بالشام الذي أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد اتفق مع المراكيش ووصل يده به واجتمعوا في أم لا تحصى وخشي أن يتقدم اليهم ويترك الشقيف وراة فتنقطع عنه الميرة فأقام بمكانه ، فلما انقضى الأجل تقدم إلى الشقيف واستدعى أرنط فجاء واعتذر بأن المراكيش لم يمكنه من أهله وولده وطلب الامهال مرة أخرى فكتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث إلى أهل الشقيف بالتسليم فلم يجب فبعث به إلى دمشق فحبس به وتقدم إلى الشقيف فحاصره بعد أن أقام مسلحته قبالة الفرنج الذين بظاهر صور .

وما رواه ابن خلدون هو ملخص ما أورده ابن الأثير في كاهله (٢) وأما ابن شداد (٣) فقد أورده الخبر بما يلي وهو من شهد حصار الشقيف مع صلاح الدين قال بعد كلام ليس له مساس بالموضوع :

وجدت عزمه على قصد شقيف أرنون وهو موضع حصين قريب من بانياس وكان تبريزه في الثالث «من ربيع الأول» فسار حتى نزل مرج برغوث وأقام به ينتظر العساكر إلى حادي عشرة ورحل حتى أتى بانياس ثم ورحل منها حتى أتى مرج عيون في السابع عشر فخيم به وهو قريب من شقيف أرنون  
«١» في السكامل وغيره يميند «٢» ج ١٣ ص ١٤ «٣» سيره صلاح الدين ص ٦٥



بحيث يركب كل يوم يشارفه والعساكر تجتمع وتطلبه من كل صوب وأوب ، فأقمنا أياما نشرف كل يوم على الشقيف والعساكر الاسلامية في كل يوم تصبح متزايدة العدد والعدد وصاحب الشقيف يرى ما يتيقن معه عدم السلامة فرأى أن اصلاح حاله معه قد تعين طريقا الى سلامته فنزل بنفسه ومسا احسننا به الا وهو قائم على باب خيمة السلطان ، فاذن له فدخل ، فاحترمه واكرمه وكان من كبار الافرنجية وعقلائها وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ وبلغني انه كان عنده مسلم يقرأه ويفهمه وكان عنده ثلث فحضر بين يدي السلطان وأكل معه الطعام ثم خلا به وذكر له انه مملوكه وأنه تحت طاعته وأنه يسلم المكان اليه من غير تعب واشتراط أن يعطى موصفا يسكنه بدمشق ، فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الافرنج واقطاعا بدمشق يقوم به وبأهله ، وأن يمكن من الإقامة بموضعه وهو يتردد من الخدمة ثلاثة اشهر من تاريخ اليوم الذي كان فيه حتى يتمكن من تخليص أهله وجماعته من صور ، فأجيب إلى ذلك كله وأقام يتردد إلى خدمة السلطان في كل وقت وينظره في دينه وينظره في بطلانه ، وكان حسن المحاورة ومتادبا في كلامه ، وفي اثناء ربيع الاول وصل الخبر بتسليم الشوبك وكان قد اقام السلطان عليه جمعا عظيما يحاصرونه مدة سنة حتى فرغ زادهم وسلموه بالامان .

وقال في مكان اخر من سيرته ( ١ ) ثم استفاض بين الناس أن صاحب الشقيف فعل ما فعله من المهلة غيلة لا أنه صادق في ذلك وإنما

( ١ ) ص ٦٩ و ٧٠

قصد فيه تدفع الزمان وظهر لذلك مخائل كثيرة من الحرص في تحصيل الميرة وإتقان الابواب وغير ذلك فرأى السلطان أن يصعد إلى سطح الجبل ليقرّب من المكان ويرسل سرا من يمنع من دخول النجدة والميرة اليه وأظهر أن سبب ذلك شدة حر الزمان والفرار من وخم المرج ، وكان انتقاله إلى سطح الجبل ليلة الثاني عشر من الشهر ( جمادى الآخرة ) وقد مضى من الليل ربعة ، فما أصبح صاحب الشقيف إلا والحيمة مضروبة ، وبقي بعض العساكر بالمرج على حاله فلما رأى صاحب الشقيف قرب العسكر منه ، وعلم أنه بقي من المدة بقية جمادى الآخرة حدثته نفسه ان ينزل إلى خدمة السلطان ويستعطفه ويستزيده في المدة وتحيل له بما رأى من اخلاق السلطان ولطافته أن ذلك يتم ، فنزل إلى الخدمة وعرض المكان وقال المدة لم يبق منها الا اليسير واي فرق بين التسليم اليوم او غدا واطهر انه بقي من أهله جماعة بصور وأنهم على الخروج منها في هذه الايام واقام في الخدمة ذلك اليوم الى الليل وصعد القلعة ولم يظهر له السلطان شيئا وأجراه على عادته وتقضي مدته عاد ونزل بعد ايام وقد قرب انتهاء المدة والفراغ منها وطلب الخلو بالسلطان ، وسأل منه ان يمهله تمام السنة تسعة اشهر ، فأحسن السلطان منه الغدر فمأطله وما آيسه وقال تنفكر في ذلك وتجمع الجماعة وتأخذ رأيهم وما ينفصل الحال عليه نعرفك ، وضرب له خيمة قريبة من خيمته وأقام عليه حرسا لا يشعر بهم وهو على غاية من الاكرام والاحترام له والمراجعة ، والمراسلة بينهم في ذلك القلب مستمرة ، حتى انقضت الايام وطوبأ بتسليم المكان فكشف له انك اضمرت الغدر وجدوت في المكان عمائر وحملت اليه ذخائر فأنكر ذلك ، واستقرت القاعدة على ان ينفذ من عنده ثقة يتسلم المسكن



وينظر هل تجدد فيه شيء من البناء ام لا ، فمضوا اليه فلم يلتفت اصحابه القيمون فيه اليهم . ووجدوه قد جدد بابا للسور لم يكن فاقم الحرس الشديد عليه واظهر ذلك ومنع الدخول إلى الخدمة ، وقيل له قد انقضت المدة ولا بد من التسليم ، وهو يغالط عن ذلك ويدافع عن الجواب عنه .

ولما كان الثامن عشر من جمادى الآخرة وفيه اعترف بانتهاء المدة قال : انا امضي واسلم المسكان وسار معه جمع كثير من الامراء والاجناد حتى أتى الشقيف وامرهم بالتسليم فأبوا ، فخرج اليه قسيس وحدته بلسانه ثم عاد ، واشتد امتناعهم بعد عود القسيس اليهم فظن أنه أكد الوصية على القسيس في الامتناع وأقام ذلك اليوم والحديث يتردد ، فلم يلتفتوا واعيد إلى الخيم المنصور وسير من ليلته إلى بانياس واحيط عليه بقلعتها فاحدى العسكر بالشقيف مقاتلين ومحاصرين وأقام صاحب الشقيف ببانياس إلى سادس رجب واشتد حلق السلطان على صاحب الشقيف بسبب تضبيع ثلاثة اشهر عليه وعلى عسكره ولم يعملوا فيها شيئا فاحضر إلى الخيم « ١ » وهدد ليلة وصوله بأمر عظيم فلم يفعل وأصبح السلطان ثامن رجب ورقي إلى صنام الجبل يخيمه وهو موضع مشرق على الشقيف من المكان الذي كان فيه فيه أولى وأبعد من الوخم وكان قد تغير مزاجه

اما ارناط صاحب الشقيف فقد سير إلى دمشق بعد الاهانة الشديدة على سوء صنيعه وقال في خبر تسليم الشقيف .

(١) قال الهماد الاصفهاني في الفتح القسي ثم استحضره في سادس رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه على ان يبلغ المراد في شقيقه ، فلما لم يقد خطابه : ولم يجد عذابه صيره الى دمشق وسجنه والزمه شجاء وشجته

ولما كان يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول علم الافرنج المستحفظون بالشقيف انهم لا عاصم لهم من امر الله وانهم إن اخذوا عنوة ضربت رقابهم فطلبوا الامان وجرت مراجعات كثيرة في قاعدة الاران ، وكانوا قد علموا من حال صاحبهم انه قد عذب أشد العذاب فاستقرت القاعدة على ان الشقيف يسلم ويطلق صاحبه وجميع من فيه من الافرنج ويترك ما فيه من انواع الاموال والذخائر ، وعاد صاحب صيدا والافرنج الذين كانوا بالشقيف الى صور .

واما الهماد الاصفهاني فقد اورد خبر الحصار في الفتح القسي مطولا مفصلا على طريقة كتابه بأصجاع مطبوعة ولما انورد هنا ما ذكره من خبر فتح الشقيف وتسليمه طاوين كشحا عن حديث الحصار وما فيه من الحوار قال (١) :

وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع تسلم بالامات شقيف ارنون ، واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون ، وصاحب ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل ، وباب خلاصه دون فتح شقيقه مقفل ، وذلك ان الشقي في الشقيف في زاده ، وعز اجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده ، وخانه في الصبر ارتياؤه وارتياده ، ونخب من الرعب فؤاده ، واصلد باليأس زفاده ، وامتنع اصداره وايراده ، فسلمه على ان يسلم صاحبه ، وتحلص في النجاة مذاهبه ، وتخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه ، وتركه للاسلام بما يحويه ، وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ، ولبس من التشریف والتسريح حبر الحبور .  
واليك ما جاء في وفيات الاعيان (٢) من خبر حصارها :



ثم خرج ( صلاح الدين ) الى شقيف ارنون (١) وهو موضع حصين فخيم في مرج عيون بالقرب من الشقيف في سابع عشر من شهر ربيع الاول واقام اياما يباشر قتاله كل يوم والعساكر تتواصل اليه فلما تحقق صاحب الشقيف ان لا طاقة له به نزل اليه بنفسه فلم يشعر به إلا وهو قائم على باب خيمته فأذن له في دخوله اليه واكرمه واحترمه وكان من اكبر الفرنج وعقلائهم وكان يعرف بالعربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والاحاديث وكان حسن التأني لما حضر بين يدي السلطان واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه يملوكة وتحت طاعته وانه يسلم اليه المكان من غير تعب واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فانه بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا يقوم به وبأهله وشروطا غير ذلك فأجابه الى ذلك وفي اثناء شهر ربيع الاول وصله الخبر بتسليم الشوبك وكان السلطان قد اقام عليه جمعا يحاصرونه مدة سنة كاملة الى ان نفذ زاد من كان فيه فسلموه بالامان .

ثم ظهر للسلطان بعد ذلك ان جميع ما قاله صاحب الشقيف كان خديعة فرسم عليه ثم ظهر له ان الفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة خمس وثمانين وفي ذلك اليوم سير صاحب الشقيف الى دمشق بعد الاهانة الشديدة .

واما ابو الفداء فقد اقتصر من حديث حصارها على ما يلي :  
في هذه السنة ٥٨٥ هـ سار السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون وحضر اليه صاحب شقيف ارنون وبذل اليه تسليم الشقيف بعد مدة ظهر بها خديعة منه فلما بقي للمدة (٢) ثلاثة ايام استعصمه السلطان وكان اسم

«١» في النسخة التي اخذنا عنها هذه الجملة اربون «٢» المختصر ج ٣ ص ٧٦

صاحب الشقيف ارنلظ فقال له السلطان في التسليم فقال لا يوافقني عليه اهلي واهل الحصن فأمسكه السلطان وبعثه الى دمشق فحبس . وفي الدائرة (١) وسنة ١١٧٩ وذلك بعد سنتين من موقعة حطين نزل صلاح الدين بعساكره في آخر شهر نيسان ( ابريل ) امام القلعة وحاصروها وكان رينولد صاحب صيدا المعروف عند العرب بأرناط قائداً لعساكر القلعة فأطال بحيلة مدة الحصر كما علمت في ترجمته (٢) وفي شهر نيسان من السنة التالية استسلمت القلعة الى صلاح الدين بشرط ان يطلق رينولد الذي كان قد ارسله الى الشام موثقاً وان يخرج العساكر منها بأمان .

وبالجملة فان كل ما كتبوا خبر الحصار لم يتعدوا هذه المضامين وكلها كما ترى صريحة بأنهم لم تؤخذ عنوة بل أخذت بالتسليم والامان وفي ذلك نفي لروايتين تدوران على السنن أهل القرى المجاورة لها - الاولى - ان صلاح الدين لم يستطع اخذها بالمنجنيق إلا بضربها به من قرية القليعة في الشق الآخر من الوادي على مسافة لا تقل عن اربع كيلومترات - والثانية - انه حاصرها اشهرآ ولم يستول على حاميتها إلا بحيلة دبرها قروي (٣) من أهل ذلك الجوار فدعا الحامية خارج القلعة لمأدبة اعددها لها وكانت الحامية مستأمنة له وقد انهكها الجوع حتى صارت تأكل الفيوان والجرذان فما شعروا وهم مشتغلون ببطونهم إلا وعسكر صلاح الدين قادمون بطعام في زي النساء حتى اقتربوا منهم فباغتوهم بالقتل فلم ينبج منهم نافع نار (٤) .

«١» م ٣ ص ١٥٥ «٢» ص ٢٣٩ و ٢٤٠ «٣» ويقال ان القروي كان من قرية ميفدون على بعد ميلين من القلعة في الجنوب الغربي منها «٤» اورد الروايتين المقتبس م ٦ .



ولم تمتد يد الحصار اليها من عهد استيلاء ( صلاح الدين ) عليها ، وعهد من وليها بعده ، وعهد وقوعها في يد الفرنسيين بالاتفاق عقدته معهم اسماعيل ملك دمشق وفي الزمن الذي وقعت فيه بيد الرهبنة الميكليين الذين ابتاعوها مع صيدا من ( يوليانس ) حاكم صيدا الى سنة ١٢٦٨ م ٦٦٦ هـ حيث أتاها ( بيبرس ) في شهر نيسان ( افريل ) وحاصرها حصارا شديداً ، وكان قد خرج بعض العساكر منها في اليوم السابق فلم يستطع الذين بقوا فيها الدفاع عنها مدة طويلة . وبعد أن قاتلوا بضعة ايام ببسالة اضطرهم الامر الى الاستسلام فاستسلموا من دون شرط فأمر ( بيبرس ) الرجال ، واما النساء والاطفال فأرسلهم الى صور (١) .

وقال كيران : وفي سنة ١٢٦٨ م استولى بيبرس على محفل بلفور ومركزه ما بين الحصن والقلة الجديدة ومن بعد ذلك حصونها استولى على القلعة ايضا ووضع بها عساكره .

هذا ما جاء في دائرة المعارف للعلامة البستاني وما أورده كيران من هذا الحصار وأما ابو الفداء فإنه مكث عنه في مختصره . وابن خلدون أورده في تاريخه العبر بما هذا محصله :

وبلقه ( الظاهر بيبرس ) لغارة أهل الشقيف على الثغور فقصدتها فشن الغارة على عكا واكتسح بسائطها حتى سأل الافرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاسمة في صيدا . وهدم الشقيف واطلاق تجار من المسلمين كانوا أمروهم ، ودية بعض القنلى

(٢) دائرة المعارف م ٣ ص ٢٥٥

الذي أصابوا دمه . وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنقض لغزهم ، ونزل فلسطين في جمادى سنة ست وستين . ثم رجع الى حصن الشقيف فحاصره وافتتحه بالامان «٢» .

وجاء في خطط المقرئ ذ كر فتح الشقيف في فتوحات ( بيبرس ) كما جاء في العبر مجرداً عن الاضافة وكذلك في كلمات المؤرخين الذين ذكروا خبره وخالف المقرئ ابن خلدون في تاريخ وقوعه حيث أورده في حوادث خمس وستين لامت وستين .

وأما ابن سباط فقد نقل عنه الامير حيدر «١» خبر حصار الملك بيبرس لحصن الشقيف مضافا الى تيرون في حوادث سنة خمس وستين قال ابن سباط بعد أن ذكر تشديد بيبرس الحصار على ذلك الحصن وما جرى في خلاله من الحوادث .

فقساه يوم الاحد وهو التاسع والعشرون من شهر رجب فوجد فيه اربعة وثمانين رجلا واثنين وعشرين امرأة فركبهن على الجمال وارسلهن الى صور وارسل معهن من يحفظهن خوفاً من يؤذين ثم ارسل ائقـال الحصن الى دمشق ورتب عليها بعض اناس . ويسمى هذا الحصن شقيف تيرون .

وبعد فلم يرد فتح الشقيف في فتوحات ( بيبرس ) الا جملاً وأنت خبير انه مرده بين الشقيفين أرنون وتيرون وفي رواية الدائرة وابن سباط

(١) ج ١ ٤٤٣ و ٤٤٤

(٢) م ٥ ص ١٨٧



تقارب في ذكر حادثة الفتح وان تباعدا في اضافة الاولى الشقيف الى  
ارنون والثاني الى تيرون .

ويمكن الجمع بين كلام المؤرخين بفتح بيبوس للشقيفين ويقربه اختلاف  
تاريخ خبر الفتح ولعل فتح شقيف تيرون كان في سنة خمس وستين كما  
رواه ابن سباط والمقرئزي وفتح شقيف ارنون كان في العام الذي يليه  
كما رواه ابن خلدون وكيوان والدائرة .

أما فتح ( بيبوس ) لقلعة الشقيف فيؤيده امور « ١ » رواية الدائرة  
وكيوان ما جاء في فوات الوفيات للصالح الكتبي وصبق لنا ذكره .

وكانت الشقيف قلعتين مجاورتين فجمع ( بيبوس ) بينهما وبني بها  
جامعا وحاميا ودار نيابة . أما الجامع فلا يزال قائما في اعالي القلعة حتى  
اليوم . وأما الحمام فبطن بعضهم أنه كان في حضيض الجبل القائمة عليه  
القلعة كما مر ذكره في أحد الفصول ( ١ ) تسمية احمد ابراهيم بروج  
الظاهرية ويعرف بوجه الدائر حتى اليوم بهذا الاسم ، دخول المملكة  
الشقيفية في ممالك ( بيبوس ) في المعاهدة المعقودة بينه وبين مملكة  
بيروت سنة ٦٦٦ ١٢٦٨ م .

ولما أوجست الدولة العثمانية خيفة من الامير فخر الدين المعني الذي اتسعت  
دائرة اقطاعه اتساعا عظيما وضخمت قوته وامتدت سطوته بعثت لمحاربته  
احمد باشا الحافظ نائب الشام وكثيرا من امراء هذه النواحي فلم يقابلهم  
وهرب الى بلاد الفرنج سنة ١٠٢٢ ١٦١٣ م على رواية الامير حيدر

( ١ ) ملخص عن خلاصة الاثر

وسنة ١٢٢٠ ١٦١٢ م على رواية الحبي « ١ » زحف الحافظ على بلاده  
بجيشه الجرار وحاصر قلعة الشقيف ستين يوما بنيف وخمين الفا ولكنه  
لم ينل منها نيلا ولما استنجدت حاميتها « الامير بونس » اخا الامير فخر  
الدين وانجدها أغضب ذلك الحافظ فاستنفر لحربه عمال الاطراف وساق  
الى بلاده من العساكر ما يقن معه العجز عن المقاومة فاضار عليه بعض بطانته  
باسترضائه الحافظ واتخاذ والدته شفيعة عنده فلما قدمت عليه وهو محاصر  
القلعة وقدمت له المال والحيل قبلها ، وقبل شفاعتها . وخلع عليها وعفا عن  
ولدها « الامير بونس » مشروطا عليها دفع مائة الف نصفها فداء عن احراق  
الشوف والنصف الثاني لبقاء القلاع ورفع القتال « ٢ »

وفي سنة ١١٩٧ ١٧٨٢ م بعد رجوع احمد باشا الجزائر الى عسكا  
جعل يفرغ جهده في امتلاك بلاد بشارة كما امتلك بلاد صفد وكان المتأولة  
متحصنين في القلع ومستعدين للقتال وهم ثلاث قبائل تحت رئاسة ثلاث  
عائلات وهم بنو علي الصغير ومقدمهم الشيخ نصيف النصار واخوته .  
وبنو منكر فريق منهم مقدمه الشيخ محمد الحسن وعشيرته والاخر مقدمه  
الشيخ حيدر الفارس « ٣ » وكان عندهم ابطال لا نطاق في الحرب وكان  
قد جرى بينهم وبين الجزائر وقائع كثيرة ولم يظفر منهم بطائل فجعل لهم

( ١ ) يقول الحبي ص ٣١ ٢١٧ واقام بها ( بلاد الافرنج ) سبع سنين الى ان عزل  
الحافظ عن نيابة الشام فطلع الى مستقره في شوال سنة سبع وعشرين والف .

( ٢ ) عن الامير حيدر والاعيان .

( ٣ ) هو واخوه الشيخ علي الفارس كانا مقدمي العشيرة الصمبية في ذلك العهد وليس  
من بني منكر بل كانوا يتقدمون عليهم



هذه المرة عسكرياً عظيماً . ولما بلغ الشيخ نصيف النصر قدوم العسكر جمع رجاله ونادى بقبائل بني متوال فاجتمعوا اليه من القبائل الثلاث لانه كان كبير المشايخ والجميع يتقادون اليه وسار بتلك العساكر قاصداً عسكر الجزار حتى التقوا بهم فهجم عليهم عسكر الجزار وانتشبت بينهم الحرب وحمل في مقدمة العسكر الشيخ نصيف النصر ولم يلبث أن اصابته رصاصة في رأسه فقتل ثم قتل اخوه الشيخ ابو حمد «١» وكان يعد في الحرب بالف فارس فانهزمت المتأولة واخلت البلاد ودخل عسكر الجزار الى بلاد بشارة وتسلموا قلعة هونين وقلعة تبنين «٢» وحاصروا قلعة شقيف ارنون وكان بها الشيخ حيدر الفارس وبعد ايام سلم فأخذها بالأمان ثم قتلوا كل من كان فيها «٣»

هذا تفصيل ما رواه الامير حيدر الشهابي من امر هذه الحادثة . واما من كتبها ممن ارخوا حوادث ذلك القرن من العاملين فقد رواها بعضهم كما يلي :

وفي سنة ١١٩٥ «١» ارسل الجزار عسكرياً الى حاصبيا فجاء الى يارون «٥» فظن اهل بلاد بشارة ان العسكر يريدهم فحضر نصيف فصارت معركة قتل بها نصيف وخربت البلاد . وقيل ان عسكر الجزار حضر

«١» سبق التعليق على قتله في الجولان

«٢» في الاصل بولن

«٣» الامير حيدر

«٤» كل من كتب هذه الحادثة من مؤرخي البلاد ارجح حدوثها في هذا العام وصاحب

البيت ادري بالتدري فيه

«٥» يارون قرية في جنوب جبل عامل متاخمة لحدود فلسطين

الى البلاد بواسطة صاحب قلعة هونين وصار قتل نصيف بواسطة «١» ورواها آخر بما هذا صورته : وهدمت الدولة هذه القلعة «قلعة هونين» وغيرها من القلاع سنة ١١٩٥ وصيب ذلك ان الجزار ونصيف النصر وقع بينهما حرب بأرض يارون وكانت الغلبة على نصيف وقتل وحاصر الشيخ حيدر الفارس في قلعة الشقيف شهرين وسلمها واخذت الدولة ما في القلعة وهدمها «٢» .

وبعد فان هذا آخر حصار شهدته هذه القلعة وآخر عهدا بالعمران وآخر ما ننظمه من درر حوادثها واخبارها المنتثرة في بطون التاريخ وصفحته المنسية ، وندع ما يحضرنا الآن بما ينتظم في هذا السلك من المواد الاخرى وهو لا يهدو خدمة التاريخ والآثار لأن اديباً انتقد علينا الاسهاب في هذا الموضوع واقترح علينا الكتابة فيما هو اجدى نفعاً للبلاد فشكرنا له نيته وصراحته الدالة على صدق وطنيته والله ولىنا في البدء والختام .

«١» عن مجموعة العلامة السبيعي «٢» نقلا عن مجموع مخطوط



## وصفها الشعري

قال الشيخ ابراهيم الحارثي من شعراء القرن الثاني عشر من قصيدة يمدح بها الشيخ علي الفارس بن احمد الصعي صاحب قلعة الشقيف وأحد حكام جبل عامل الاقطاعيين يصفها

ما الشقيف الصلد الا جنة  
لدى يدنو منه في حسن البنا  
تنظر المرأة فيه فتوى  
ما رأينا قبل هذا جدولا  
لا ولا قصرا كهذا إنه  
زينة الدنيا على أرجائه  
نفسها مختلف مؤتلف  
شامع يأوي إليها اسد

وله من اخرى

لك القلعة السماء أشرق بدرها  
جذبت بها حتى بلغت بها السما  
وأبرزتها للوافدين فأقبلت  
تنادي على شحط المدى كل مجتدي

وله من اخرى

أنت العزيز ودار العز داركم بل أنت شمس الضحى في دارة الحمل

حصن حصين وابراج تدور على قطب السعود ولا تنحط عن زحل  
وشاهق راح يحكيها فقلت له ليس التكحل بالعينين كالكحل  
وقال الشيخ ابراهيم آل يحيى المخزومي العاملي في وصفها من قصيدة  
في مدح المشار اليه وهي من محبوباته التي عارض بها محبوبات صفى الدين  
الحلي :

لمست افاملك السماء بقلعة  
لعماء يرمقها الغمام وينكفي  
لمياء شمس الظهر في آذانها  
لو أنصفت كان الهلال لجيدها  
لوم عداوتها وفي طاقاتها  
ويقول من قصيدة اخرى في مدحها ووصفها :

انت العزيز ودار العز داركم بل أنت شمس الضحى في دارة الحمل  
حصن حصين وابراج تدور على قطب السعود ولا تنحط عن زحل  
تود جاراتها لو أنها لثمت منها جذارا ومن للصور بالحول  
وشاهق راح يحكيها فقلت له ليس التكحل بالعينين كالكحل

وقلت في وصفها :

قلعة كالعقاب فوق شمام  
كعبة الرياح أضحت وفيها  
أرشقها الشمس المنيرة ثغرا  
ولكم للسيول عنها انحدارا  
من رأى ما حوته من معجزات  
خالها صورت من الافهام



قام ببنائها على صفحة ملس  
لو مشى الدهر للقلاع احتشاما  
حاولت ان تطولها الشهب شأوا  
قابلتها درأ يزينه النظم  
أبرزتها يد الصناعة شكلا  
اين عنها اهرام مصر جمالا  
من يفته قرب اليها فما  
كم حديث عن الدهور وروته  
فهو رق الايام قد ملاته

اء اضحت مزلة الاقدام  
لمشى الدهر نحوها باحتشام  
فانثنت سبعا ببحر الظلام  
فعادت درأ بغير نظام  
معجز الصنع محكم الهندام  
وجلالا اوفت على الاهرام  
تته في البعد روعة الاعظام  
معرب معجب بلا اعجام  
مثلث قرائح الايام



### نقد افاضتنا في تاريخ هذه القلعة

اما ما قالته من الاستحسان وما قرظته به المجلات الراقية ومنها المقتطف  
والمشرق ومن طلب اليها ترجمته الى بعض اللغات الاجنبية فاننا لا نعرض  
الى شيء منه ونرى اولى بالاهتمام نقل انتقاد اديب له وره اديب آخر عليه  
اما انتقاد الاديب الاول

فقد جاء في الجزء الثامن من المجلد السادس الصفحة ٣٩٥ من مجلة العرفان  
لستنها ١٣٣٣ هـ و ١٦١٥ م ما يلي:

كتب الاستاذ الشيخ سليمان ظاهر في العرفان عن قلعة الشقيف فاطال  
حتى خيل لمن لم يرها انه يصف اهرامات مصر وحصون فردون او حصون  
ايجاج . وحقا ان الاستاذ من الكتاب المجيدين ، واهل النفس الطويل في  
الكتابة وما اظن الذين وصفوا الاهرام وهو اعجب عجائب الدنيا اطالوا  
في وصفه كما اطال الاستاذ في وصف قلعة الشقيف حتى ملأ بوصفها اعدادا  
كثيرة من العرفان ، وشوق كثيرين ممن لم يروها الى الهجرة لوؤيتها ،  
واعلمهم ان رأوها يقولون تسمع بالمعدي .

لايلام الاستاذ على اطالته في وصف قلعة الشقيف وهي في بلاده بل  
مناوحة لبلده بكرة وعشية نصب عينيه ماثلة امامه بينائها الضخم لكن  
كان الاولى بالاستاذ ان يصرف نفيس اوقاته في غير هذا مما فيه صلاح  
وطنه ، وتهذيب ابنائه والعلم والتعليم وقد بلغنا ان خرائب القلاع القديمة  
في جبل عامل كثيرة فاذا اراد الاستاذ ان يصف كل واحدة منها بمقدار  
ما وصف به قلعة الشقيف او بنصفه على الاقل استغرق ذلك سنين كثيرة  
من سني العرفان ، وحرر القراء ما هو أجدى من وصف القلاع الحربية ،  
وملاحيه اليوم والغربان والسلام .



## رد الاديب الثاني على النقد

قال ص ٤٩٦ من الجزئين التاسع والعاشر من العرفان :

« قرأت في صحيفة ٣٩٥ من الجزء الثامن من المجلد السادس من مجلة العرفان الغراء ما خلاصته انتقاد ما كتبه الاستاذ الشيخ سليمان ظاهر في قلعة الشقيف بأنه تجاوز الحد في اطالة وصفها وكأنه أعتقد اذ لاحظ العنوان المتكرر في اجزاء العرفان « جبل عامل وقلعة الشقيف » فحسب ان جميع ما كتبه الاستاذ منحصراً في وصف القلعة نفسها من تحديد موقعها، وتمثيل فخامتها، وتعدد طبقاتها، ونحو هذا. ولو انه تجاوز النظر في عنوان الكتابة الى ما حوته من الحوادث التاريخية التي تعاقبت على القلعة في ازمان مختلفة، والادوار التي تقلبت عليها فضلاً عما في خلال ذلك من اخبار المتغلبين وغيرهم ممن حاولوا امتلاكها، واخبار المدافعين عنها والمستسلمين لها لما رأى المنتقد موضعاً لانتقاده إذ يرى عاماً ما جعل عنوانه خاصاً بوجهه. »

## لاحق

### من الامصار الى الآثار اللبنانية الطامعة

تعاون حكومة لبنان الوطنية والمفوضية الفرنسية في عهد الانتداب على رفع الانقاض المتراكمة من امد بعيد في هذه القلعة والسادلة على حيا معالمها حجاباً كثيفاً يخفي محاسنها عن عيون زائريها الكثيرين من مختلف الامصار على اختلاف اللغات وقد احسنتنا صنعا في هذا العمل المجيد وحالتنا دون عبث مجاوريها بأثارها ونقل احجارها واتخاذها زرائب لمعزها وشائها وغنيت حكومة لبنان بشق طريق متفرع عن طريق النبطية مرج العيون وعبدته لسير السيارات اليها ولراحة الزائرين وقد حرصنا كل الحرص ونحن نعد تاريخها للطبع والنشر للحصول على نبذة نلحقها به بما عثر عليه القارئون بازالة انقاضها فلم نتوفق لما قصدنا اليه ولعلنا نبليغ هذا الغرض عند اعادة طبعها من مصلحة الآثار اللبنانية وهو من أهم أغراضها الحريصة على تدوينها حرصاً على تنظيم فرائدها من هنا وهناك بعقد روائعها التنظيم وما ذلك عليها بعزير وهو من مفاخر لبنان ومهوى أفئدة زائريه ومتعة الابصار من هواة الآثار والمؤرخين .



## مصادر هذا التاريخ

- ١ - كامل ابن الاثير
- ٢ - البصر لابن خلدون
- ٣ - مختصر ابي الفداء
- ٤ - وفيات الاعيان لابن خلكان
- ٥ - فوات الوفيات للمكتبي
- ٦ - تاريخ الامير حيدر للشهابي طبع مصر
- ٧ - تاريخ بيروت لصالح بن يحيى
- ٨ - الفتح القسي للعلاء الاصمباني
- ٩ - سيرة صلاح الدين لابن شداد
- ١٠ - تاريخ سوريا للطران يوسف الدبس
- ١١ - تاريخ سوريا لجرجي يفي
- ١٢ - دائرة المعارف للبستاني
- ١٣ - المختطف
- ١٤ - الحطط للمقريري
- ١٥ - صبح الاعشى للقاقتندي
- ١٦ - مجلة المقتبس للاستاذ محمد كرد علي
- ١٧ - ذخائر لبنان لابراهيم بك الاسود

- ١٨ - مجمع المسرات للطبيب شاكر الخوري
- ١٩ - قاموس الكتاب المقدس للدكتور بوست
- ٢٠ - العقد المنضد لشبيب باشا الاسعد
- ٢١ - امل الآمل للشيخ محمد الحر العاملي
- ٢٢ - تاريخ الركيني العاملي
- ٢٣ - تاريخ الشيخ علي السبيتي المؤرخ العاملي
- ٢٤ - الشهر العاملي المنسي للمؤلف
- ٢٥ - بعض المخطوطات العاملة
- ٢٦ - كيرات
- ٢٧ - بيدكر
- ٢٨ - مجلة المرفان
- ٢٩ - مجلة الآثار



## كتب المؤلف تحت الطبع

- ١ - معجم قرى جبل عامل
- ٢ - الالهيات ( من ديوان شعره وحي الحياة )
- ٣ - الفلسطينيات ( ، ، ، )
- ٤ - القصة في القرآن الكريم
- ٥ - الرد على القاديانية
- ٦ - الملحمة العربية الاسلامية
- ٧ - الرحلة العراقية الاميرانية ( شعراً )
- ٨ - الاماني الجامعة ( مجموعة قصائد )
- ٩ - تاريخ الشيعة السياسي
- ١٠ - اجزاء ديوان شعره - ( من وحي الحياة ) في شتى المواضيع ومنها :  
النبويات - العلويات - الحسينيات - الهاشميات ، من كل اثنتي عشرة قصيدة .



## فهرست الكتاب

صفحة	
	المقدمة
٤	جبل عامل وقلعة الشقيف
٥	قلاعة وحصونه
٦	قلعة الشقيف وموقعها
٩	اسماؤها
١٠	بناتها وتاريخ بناتها
١٣	القلعة بين التدمير والتعمير
٢٨	التعريف بعظمتها
٣٦	بين الاعمال والولايات
٤٢	بين الحصار والنار
٥٨	وصفها الشعري
٦١	نقد افاضتنا في تاريخ هذه القلعة ورداديب عليه وختامها
٦٣	ملحق
٦٤	مصادر التاريخ
٦٦	كتب المؤلف تحت الطبع
٦٧	شكر المؤلف